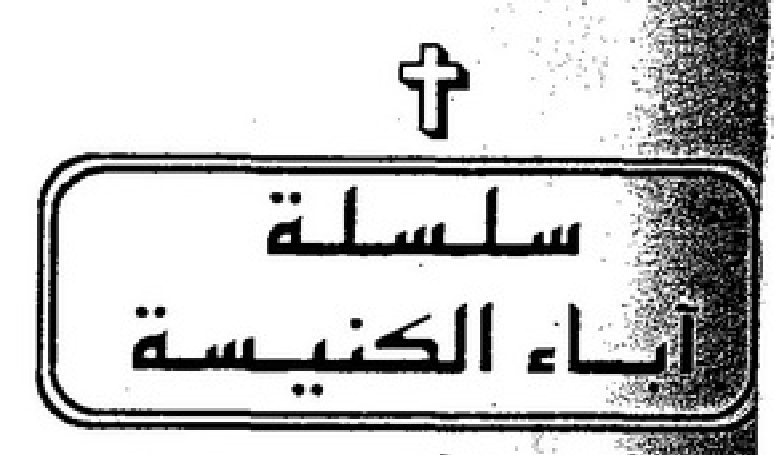
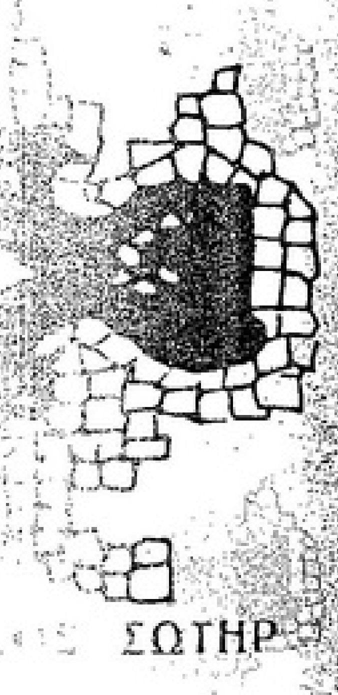


القديس يوستين والآباء المدافعون



الأدب الدفاعى المسيحى
(آباء القرن الثانى)

✝

علم الباترولوچى
سلسلة آباء الكنيسة

القديس يوستين والآباء المدافعون

ST. JUSTIN & THE APOLOGISTS

(كوادراتوس ـ أريستيدس ـ أرسطو ـ تاتيان ـ ميلتيادس ـ

ابوليناريس ـ أثيناغوراس ـ ثيؤفيلس ـ ميليتو ـ هرمياس)

ترجمة واعداد

انطون فهمى چورج



قداسة البابا شنوده الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

الكتـــــاب : القديس يوستين والآباء المدافعون .
ترجمة وإعداد : أنطون فهمى چورچ .
النـــاشـــر : كنيسة مارمرقس والبابا بطرس ـ الاسكندرية .
جمع تصويرى : كـويـن سنتر ـ الأزاريطة ـ الاسكندرية .
المطـبـعــة : الأنبا رويس (الاوفست) ـ العباسية ـ القاهرة .
رقم الايداع : رقم الإيداع بدار الكتب : ٩٢/٥٢٩٩

يُطلب من : مركز القديسين للتوزيع ـ سيدى بشر ـ الاسكندرية .
مكتبة الرجاء ١٨٦ شارع النزهة ـ سانت فاتيما ـ القاهرة .

مقدمة

يعتبر الجانب الرئيسى فى علم الباترولوچى هو البحث فى حياة الآباء الاولين واعمالهم ، لذلك كانت دراسة سيرتهم وحياتهم أمراً ضرورياً وحتمياً ، يرشدنا لنتفهم شخصياتهم والظروف المحيطة بهم ، فنكشف عن فكرهم وعقيدتهم وتعليمهم وروحهم فى ضوء التقليد العام للكنيسة الجامعة .

فعلم الباترولوچى ليس مجرد سرد تاريخى لأدب مسيحى قديم ، كُتب فى العصر الآبائى الأول ، بل قدم هذا العلم صورة زاهية المعالم متألقة الأركان والأبعاد للكنيسة عمود الحق وقاعدته ، ومن ثم للتعليم وللعقيدة وللحياة الروحية والنسكية والسلوكية التى عاشتها كنيستنا كنيسة الرسل والاباء ، مع التركيز على الانجيل المعاش فى قداسة السيرة والجهاد الملتهب فى العمل الرعوى والكرازى ...

ولأن كنيستنا كنيسة رسولية لذا تتمسك بهذا الايمان الرسولى

وتحياه ، ولأنها كنيسة آبائية لذا تتمتع بأبوة أبائها وبالبنوة لهم ، وتمثل أقوال الاباء ـ علم الباترولوچى ـ نصيباً عظيماً من التقليد الكنسى ، ينبغى أن نحفظه مقتفيين آثار آبائنا الروحية بغير تغير ، حريصين على روح التلمذة ، لنستقى التعليم الايمانى الحى والعملى .

بعيداً عن الأفكار النظرية والعقائدية الفكرية والفلسفية ، بل كخبرة حياة وتلمذة ممتزجة بالابوة والارشاد والقدوة ، كانجيل حى وكعصارة عشرة قدسية مارسها هؤلاء الاباء وتدرب عليها أولئك المعلمون ، وحسناً قيل «أن من يرفض الآباء إنما يرفض الكنيسة كلها» .

هؤلاء الاباء المقودين بالروح القدس ، أوضحوا لنا بحكمة ، التعليم الصحيح ، فى جهادهم الروحى ، فى أصوامهم ، فى صلواتهم ، فى دموعهم النقية ، فى قداسة سيرتهم ، فى صدق عشرتهم الالهية ، فى محبتهم للصلاح ، فى سكنى الجبال ومغائر الارض ، فى عمق المعرفة الكاملة ، فى انسكاب الحب الابوى ، فى الرعاية ، فى الخدمة ، فى الدفاع عن الايمان المستقيم .

إلا أن التقليد الكنسى لا يقر عصمة احد بصفته الشخصية ولا يقبل رأياً ذاتياً منفرداً ، إنما يحث على التمتع بالحياة الكنسية الاصيلة فى شموليتها وقبول الفكر الكنسى فى جملته خلال عموم الاباء ، بروح وفكر الكنيسة الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية .

فيأتى التزامنا بالتراث الابائى ، لأنهم تمسكوا بما تسلموه من الرسل وبما وجدوه فى الكنيسة ليودعوه فى أيدى ابنائهم .... كما ويأتى سلطانهم خلال قدسية سيرتهم وحفظهم لوديعة الايمان الحى الذى تسلموه من الرسل الحواريين بالدم والعرق ، إذ أنهم أقدر على الشهادة الحية للحياة الكنسية فى كل جوانبها .

لقد ازدهر هذا التراث الابائى وزادت الكتابات اللاهوتية والروحية فى ازمنة الألم والمقاومة ، إذ أن الآلام والاتهامات والاضطهاد ـ كما قال القديسون ـ هى بمثابة معصرة العنب أو فرك الزهور ذات الرائحة الطيبة ، فهى تسفر عن رؤية روحية ومعرفة إلهية لأعماق حقائق الايمان المسيحى ، والتى تمثلت فى كتاباتهم الدفاعية .

لذا أطلق عليهم فى القرن الثانى اسم "الاباء الملتمسون او المدافعون *Apologists*" الذين كرسوا أقلامهم لرفع التماساتهم عن الايمان المسيحى الى الحكام والاباطرة ، وتوجهوا بكتاباتهم لا الى عامة الشعب لاستثارتهم أو لاستجداء رضاهم ، بل الى طبقات المثقفين والحكام والاباطرة المستنيرين ، وبالرغم مما اتسمت به هذه الكتابات من حكمة وتعقل وترفع عن المهاترات ، الا انها لم تسفر عن اى اعتراف رسمى بالمسيحية كديانة ، بعد ان وصلت هذه الكتابات الدفاعية الى ايدى الاباطرة .

ويصنف علم الباترولوچى هذه الكتابات ويسميها "الدفاعيات" ويسمى الاباء الذين كتبوها "الآباء المدافعون" الذين دافعوا عن الايمان المسيحى فى القرن الثانى ، قبالة الادعاءات الكاذبة والشائعات الرديئة والجهل الهجائى الذى اتبعه اضداد المسيح .

لذا غلب الطابع التعليمى الدفاعى على كتابات القرن الثانى من اجل مواجهة حماقات الوثنيين وبذار الشيطان ، فتركزت دفاعات الاباء المدافعين ضد الاتهامات التى واجهها المسيحيون والتى تركزت فى ثلاثة اتهامات رئيسية :

(١) **الاتهام الأخلاقى** : الادعاء الكاذب بأن المسيحيين يحيون حياة فاسدة فاجرة .

(٢) **الاتهام الدينى** : ان المسيحيين كفرة بلا دين .

(٣) **الاتهام السياسى** : انهم غير اوفياء للامبراطور وانهم جماعة سرية .

وقد أثار الاتهامان الأول والثانى كراهية عامة الناس وكانا سبباً فى هياج الغوغاء والعامة ، أما الاتهام الثالث فقدمهم امام الولاة للمحاكمة .

فأتت الدفاعيات متضمنة الردود على هذه السخافات الكاذبة مع ايضاح جدية التدقيق الحى العامل بالمحبة ، ووضع اساسيات علم الله بيد هؤلاء الاباء المدافعين العظام لاهوتيّ الكنيسة الأولى .

وبين يديك أيها الحبيب دراسة عن الادب المسيحى الدفاعى وعن الاباء المدافعين اليونان الذين دافعوا عن الحق الالهى ودحضوا الهرطقات فى القرن الثانى ، وقد ركزتُ على سيرة

الفيلسوف يوستين المدافع والشهيد ، الذى أعتبر اهم مدافعى ومعلمى هذه الحقبة ، المعتبرين فى رتبة تلى رتبة الرسل ورتبة الانبياء مباشرة ، ناقلاً التقليد الى المؤمنين سواء فى كتاباته أو فى أعماله وشهادته .

تحول الفيلسوف يوستين من الوثنية الى الايمان بالمسيح ، خلال الاستنارة الموهوبة لكل من يجتهد ويشتاق ويصلى ويقبل ويتجاوب مع عمل النعمة الالهية ، فبعد أن درس الفلسفات المعاصرة لجيله ظل جائعاً الى الكلمة التى كل من يأكل منها يعود اليها جائعاً والتى كل من يشرب منها يعود اليها عطشان لينهل من ينبوع الماء الحى .

اكتشف القديس يوستين الفرق بين فلسفة العالم وبين الفلسفة المسيحية ، فبينما الأولى هى البحث عن الحقيقة ، تأتى المسيحية الفلسفة الكاملة الالهية السامية السماوية غير الكاذبة ، الحق الحقيقى وحدها ... فجاء ايمانه وليد الاقناع العقلى (المعرفة) وبرهان الشهادة والحق (الايمان) عندما رأى شجاعة شهداء المسيحية واحتقارهم للموت وقطرات عرق جهادهم

وحبات دمائهم وشهادتهم الصادقة والحية ، فى عشرة حلوة مع المسيح المخلص ، غير محبين للشهوات ولأباطيل العالم .

لذلك بتلمذته للمسيح اعتبر ان كل مجده هو ان يكون مسيحياً ، اذ لا يوجد تعارض بين الايمان المسيحى والعقل ، فالمسيحية تشبع العقل والنفس والروح ... انها دعوة للبسطاء وللحكماء ، لقليلى الايمان وللعقلانيين ، يقدمها لنا المدافع المسيحى يوستين الذى اشتهى ان يواجه العالم (كمسيحى) فى افتخار بأنه مسيحى .

فكرس حياته الباقية كلها للمسيح الذى آمن به ، اللؤلؤة النادرة الغالية الكثيرة الثمن ، التى باع الرجل التاجر كل ماله ليقتنيها ، فصار من بين عمالقة الفكر المسيحى الذين ادوا خدمات جليلة لانتصار الحق المسيحى على تحدى الفلسفة الوثنية ، وصار أيضاً من أوائل الكتاب واللاهوتيين المسيحيين الذين ملكوا زمام الفكر والثقافة السائدين فى عصرهم ، فبلغ الايمان سامعيه بلغتهم التى يفهمونها على مستوى التفكير السائد فيهم .

وبشر القديس يوستين الشهيد بالكلمة الالهية معلناً الحق الكتابى وعقد مناظرات وحوارات كثيرة مع حكماء هذا الدهر من الوثنيين والسوفسطائيين ، وأظهر قوة واقتداراً واقناعاً وثباتاً فى جميعها ، مدافعاً عن الايمان بشجاعة واستبسال ، داحضاً الخرافات المصطنعة وادعاءات الذين يُكفرون المسيحيين .

وبعد أن شهد للمسيح بحياته وسلوكه شهد له بدمه ، فأكمل سعيه وسفك دمه من أجل الذى اشتراه واقتنى الكنيسة كلها له بدمه الكريم .

وفيما تحتفل الكنيسة بالعيد المئوى للكلية الاكليريكية ، تحتفل بالنهضة العلمية اللاهوتية فى الوقت نفسه ، والنهضة شعلة لا تنطفئ بل تزداد اشتعالاً وانارة ، وهى مسيرة لا تتوقف بل تزداد تقدماً ، فى عصر ذهبى يحمل فيه قداسة البابا شنودة الثالث مشعل الأرثوذكسية فى العالم كله ، كارزاً ومعلماً وراعياً وأباً وقاضياً للمسكونة .

ونأمل أن تقدم هذه السلسلة الآبائية ΙΧΘΥΣ اضافة جادة

لعلم الباترولوچى فى معاهد كنيستنا اللاهوتية من اجل دوام تقدمها ورقيها الروحى والعلمى والعملى ، ذاكرين صلوات وبركة ابينا نيافة الحبر الجليل **الانبا بنيامين** النائب البابوى للمدينة العظمى الاسكندرية ، الذى اعاننا بصلواته وساندنا بمحبته وارشدنا بابوته وقدوته فى عمق روحى والتزام رعوى انتظرناه فوجدناه .

اننا نضع هذا العمل بين يدى المسيح ربنا ، رب الكنيسة وعريسها ليكون سبب معونة وبركة لكثيرين

بصلوات رؤساء الاباء والاباء المدافعون

وصلوات مثلث الطوبي

البابا شنودة الثالث

ولربنا المجد والكرامة

من الآن والى الأبد

أمين

صوم الميلاد

١٩٩٢

الآباء المدافعون

مدخل

بينما كانت كتابات الآباء الرسوليين واعمال المسيحية الأولى تهدف الى ارشاد وتهذيب المؤمنين ، نجد الادب المسيحى فى عصر الاباء المدافعين اليونان قد خرج الى العالم للمرة الاولى ، ودخل فى مجالات الثقافة والحضارة والعلوم ، اذ انه فى مواجهة الموقف العدائى الذى اتخذه الوثنيون تجاه المسيحية ، تغير الطابع التعليمى والكرازى للعظات والتعليم ، فغلب عليها الطابع الدفاعى ، مما يعطى لكتابات القرن الثانى طابعها المميز .

وكانت المسيحية ائنذاك تواجه اشاعات كاذبة رديئة تنتشر بين عامة الشعب ، وكانت الدولة تنظر الى الاعتراف بالمسيحية كجريمة عظمى ضد الديانة الرسمية وضد عظمة الامبراطور ، كذلك رفض الوثنيون المتعلمون وذوو الفكر المتحضر الديانة الجديدة واعتبروها تهديداً لسلطان العالم الرومانى .

وبين أشهر مقاومى المسيحية فى القرن الثانى ، نجد الهجّاء لوسيان السموسطائى *Lucian of Samosatia* الذى وضع كتاباً يسخر فيه من احتقار المسيحيين للموت ومن محبتهم بعضهم لبعض ، ونجد أيضاً الفيلسوف فرونتو *Fronto of Cirta* معلم الامبراطور مرقس اوريليوس فى عمله «العظة *Oration*» ، وقبل الكل نجد الفيلسوف الافلاطونى كلسس *Celsus* ، الذى اصدر كتابه الذى يهاجم المسيحية بعنوان «الحديث الصادق Ἀληθὴσ Λόγοσ» ١٧٨م. وقد حفظ لنا العلامة اوريجانوس السكندرى اجزاء عديدة من هذا العمل وذلك فى كتابه الذى رد فيه على كلسس وفند اراءه ، ومن هذه الاجزاء نستطيع ان نقدر كم كان كلسس خصماً خطيراً وداهية ، فالمسيحية بالنسبة له ليست الا مزيج من الخرافات والتعصب الاحمق .

هذه الاتهامات وغيرها صارت يوماً بعد يوماً عاملاً مؤثراً فى التاريخ ، فكان ان تقدم للرد عليها رجال مشهورون ومتميزون بعلمهم ، اذ لم يستطيعوا ان يحتملوا هذه الاتهامات فى صمت ، وبالتالى ، وضع الآباء المدافعون امامهم ثلاثة اهداف :

(١) واجهوا وردوا على الاتهامات الكثيرة المنتشرة فى عصرهم ضد الكنيسة ، وكانوا يجاهدون بصفة خاصة ليجيبوا على الاتهام الكاذب بان الكنيسة تمثل خطراً يهدد الدولة ، موضحين الحياة الجادة المدققة العفيفة الوقورة التى يحياها اخوتهم فى الايمان المسيحى ، واكدوا على ان الايمان المسيحى هو قوة هامة لسعادة وحفظ العالم والامبراطور والدولة ، بل والحضارة نفسها .

(٢) تناولوا فى دفاعياتهم سخافات الوثنية المنافية للعقل ، والفساد الاخلاقى السائد فيها ، وخرافاتها عن الالهة ، وفى الوقت عينه ، شرحوا وبرهنوا على ان المسيحية وحدها تقدم فهماً صحيحاً عن الله والكون ، لذلك دافعوا عن العقائد الخاصة بوحدانية الله ، والوهية المسيح ، وقيامة الاجساد .

(٣) لم يكتف المدافعون بتفنيد ودحض ادعاءات الفلاسفة ، بل شرحوا ان هذه الفلسفة عينها ، لأنها لا تعتمد الا على العقل البشرى ، اما انها لم تصل الى الحق ابداً ، واما ان الحق الذى وصلت اليه كان مجرد شذرات مليئة بالعديد من الاخطاء ، مليئة بـ "بذار الشيطان" ، ومن الناحية الاخرى ،

اكدوا على ان المسيحية وحدها تمتلك الحق الحقيقى المطلق ، لأن اللوغوس ، العقل الالهى نفسه ، نزل الى الارض وتجسد ، لذا من الطبيعى ان المسيحية تفوق الفلسفة اليونانية بما لا يُقاس ، فهى فى حقيقة الامر فلسفة الهية *divine philosophy* .

وفى شرحهم للايمان ، وضع المدافعون اساس علم الله *Science of God* ، لذلك هم لاهوتيو الكنيسة الأُولى ، وهذه حقيقة تزيد من اهميتهم ، ومن الطبيعى ان لا نجد فى اعمالهم الا مجرد بدايات للدراسات المنهجية المنظمة للعقيدة اللاهوتية ، لأنهم لم يكونوا يهدفون الى وضع منهجية علمية ، ولم يحاولوا ان يشرحوا او يتناولوا كل حقائق الاستعلان الالهى .

وفى الدفاع عن مسيحيتهم ، لم يخاطب المدافعون الوثنيين واليهود فقط ، بل كتب الكثير منهم ضد الهراطقة ايضاً ، لكن للاسف فُقد الجزء الاعظم من هذه الكتابات ، ومن النصوص التى وصلتنا ، نراهم يقدمون المسيحية كديانة الحق ، ويربطون بين العهد الجديد والعهد القديم برباط داخلى وثيق ، ويرون ان

العلاقة بين العهدين هى علاقة ميراث خلال النبوات عن الفادى المخلص الذى سيأتى ، وطالما ان موسى عاش قبل المفكرين والفلاسفة اليونانيين بزمان طويل ، اذاً المسيحية اقدم واكثر وقاراً من الديانات والفلسفات الاخرى ، كما اكدوا على حرية الضمير كمصدر كل ديانة حقيقية ، اذ بدونه لا يمكن ان تقوم اى ديانة .

تاريخ النص

اغلب مخطوطات المدافعين اليونان يعود اصلها الى "مخطوطة ارثاس *The Arethas Codex*" الموجودة فى المكتبة الوطنية فى باريس والتى نُسخت بناء على طلب رئيس الاساقفة ارثاس اسقف كرسى القسطنطينية سنة ٩١٤ ، وصُممت لتكون سلسلة متكاملة تحوى كل كتابات الاباء المدافعين من البدايات الاولى المبكرة جداً وحتى يوسابيوس ، الا ان كتابات يوستين الشهيد وكتب ثيوفيلس الثلاثة "الى اوتوليكوم *Ad Autolycum*" وكتاب هرمياس والرسالة الى ديوجنيتس * ليست موجودة فيها

* انظر كتابنا "الرسالة الى ديوجنيتس" ضمن هذه السلسلة ، وهو يحوى النص الكامل لهذه الرسالة القيمة .

القديس يوستين الشهيد

St. Justin Martyr

يعتبر القديس يوستين اهم مدافعى القرن الثانى ، وقد وُلد فى اخر القرن الاول (سنة ١٠٠ م) او اوائل القرن الثانى ، فى فلافيا نيابوليس (بلدة شكيم القديمة وهى مدينة نابلس الحالية كبرى مدن السامرة) فى فلسطين ، وكان والداه وثنيين ، ومنذ حداثته كان يميل الى التفكير العميق والبحث عن الله ومبدأ العالم وهو يخبرنا [١] انه التحق أولاً بمدرسة احد الرواقيين اتباع الفيلسوف زينون ، ثم بمدرسة احد الرواقيين المشائيين* *Peripatetic* اتباع ارسطو ، واخيراً التحق بمدرسة فيلسوف فيثاغورثى ، ولم يقتنع يوستين باى من هؤلاء الفلاسفة ، فترك الرواقى لأنه لم يستطع ان يفسر له وجود الله ، وترك المشائى لأنه اصر على دفع رسوم التعليم اولاً ، وترك الفيثاغورثى لانه

* المشائيين : أى الذين يمشون ، وهم اتباع ارسطو ، ودُعوا هكذا بسبب عادة ارسطو فى أن يمشى وهو يُعلم ويُدرس .

اوجب عليه ان يدرس الموسيقى والفلك والهندسة بينما هو لم يكن يميل الى هذه الدراسات ، ومازال يسعى فى طلب المعرفة واشباع عقله حتى اهتدى الى احد الفلاسفة الافلاطونيين فتتلمذ له فترة من الوقت .

غير ان هذه الفلسفات لم تكن لتشبع عقل وقلب يوستين ، اذ لم يكن له عقل متفتح وحسب ، لكن كانت له روح جائعة متعطشة للنور والحق ، وبينما كان يسعى وراء الوحدة حتى يتمكن من التأمل بعقل غير مرتبط بالاشياء الخارجية ، وفيما هو مستغرق فى تأملاته ، وهو يسير على شاطئ البحر فى بلده ، قابله شيخ مهيب تبدو على محياه الجاذبية والعذوبة ، وبدا ليوستين كما لو كان فيلسوفاً وجد الراحة والسلام فى فلسفته ، وتحدث هذا الشيخ مع يوستين فى شئون الفلسفة واقنعه ان الفلسفة الافلاطونية تعجز عن اشباع قلب الانسان، فسأله يوستين فى لهفة وتعجب : «اين اذن اجد الحق اذا لم اجده بين الفلاسفة ؟» فاجابه الشيخ : «قبل الفلاسفة بزمان طويل عاش فى الازمنة الغابرة رجال سعداء ابرار هم رجال الله ، نطقوا

بروحه ، وسُمّوا انبياء ، وهؤلاء نقلوا الى البشر ما سمعوه وما تعلموه من الرح القدس ، وكانوا يعبدون الله الخالق أب جميع الموجودات ، وعبدوا ابنه يسوع المسيح ، فاطلب انت حتى تنفتح لك ابواب النور الآن» .

وبعد ان قال له الشيخ هذا الكلام ، توارى عنه ، ولا شك ان هذا الطريق الذى ارشده اليه ذلك الشيخ بكلامه ، كان امله منذ شبابه ، وبعد ان استمع الى الفلاسفة ، تحول الى الانبياء ، بل الى ذاك الذى هو اعلى من اعظم الانبياء علو السموات عن الارض ، الكلمة الازلى ، الذى اصبح يوستين منذ ذلك الوقت الشاهد الامين له ، ويروى يوستين اثر مقابلته مع الشيخ :

«عندما تحدث معى عن هذه الامور وعن الكثير من الامور الاخرى ، ليس هناك وقت لذكرها الان ، رحل عنى بعد ان جذب انتباهى اليها ، ولم اره ثانية منذ ذاك الحين ، وللوقت اشتعلت نار فى نفسى ، وتملكتنى محبة للانبياء ولهؤلاء الذين كانوا اتباع المسيح ، وفيما كنت أتأمل فى كلماته فى ذهنى ، وجدت ان هذه الفلسفة وحدها يمكن ان تكون آمنة ونافعة ، وهكذا صرت

فيلسوفاً لهذا السبب ، واتمنى لو ان للناس جميعاً نفس فكرى ، وان لا يضلوا عن تعاليم المخلص» (٢) .

وانكب يوستين على قراءة تلك الكتب التى ارشده اليها ذلك الشيخ المجهول ، فتوصل الى ان الفلسفة المسيحية هى الوحيدة التى تستطيع ان تشبع عقله ، فآمن بالسيد المسيح واعتمد ، وبدأ يحيا منذ ذلك الحين حياة الفيلسوف الحقة ، كما يقول هو عن نفسه ، وقد ذكر فى دفاعه الثانى ان الشجاعة البطولية التى كان المسيحيون يواجهون بها الموت لعبت دوراً كبيراً فى قبولـه للايمان :

«لقد اعتدت انا نفسى ان اسر بتعليم افلاطون ، وان اسمع الاحاديث الشريرة عن المسيحيين ، لكن عندما رأيتهم لا يهابون الموت ولا اى شئ آخر مرعب ، ادركت انهم لا يمكن ان يكونوا اشراراً او محبين للشهوات» (٣) .

فسعيه الصادق لبلوغ الحق ، وصلاته المتواضعة ، جعلاه فى النهاية يقبل الايمان بالمسيح :

«عندما اكتشفت ما حاكته الارواح الشريرة حول تعاليم

المسيحيين الالهية ، كى تعيق الاخرين عن الانضمام اليهم ، سخرت من اصحاب هذه الاكاذيب ومن الرأى السائد ، وانا اعترف اننى صليت وجاهدت بكل قوتى لكى اصير مسيحياً» (٤) .

وبعد قبوله للايمان ، والذى حدث فى الغالب فى افسس ، كرس حياته كلها للدفاع عن الايمان المسيحى ، واذ كان يعتبر الفلسفة الافلاطونية بمثابة اعداد العالم الوثنى لقبول المسيحية ، لم يكف بعد ايمانه عن تقدير الفلسفة ، بل ظل يرتدى الباليوم *Pallium* وهو عباءة يرتديها الفلاسفة اليونانيون ، ولكنه لم يفعل ذلك هروباً من ان يظهر كتلميذ للمسيح ، فهو يقول عن نفسه :

«لقد طرحت جانباً كل الرغبات البشرية الباطلة ، ومجدى الان فى ان اكون مسيحياً ، ولا شئ اشتهيه اكثر من ان اواجه العالم كمسيحى» .

ويقول عنه يوسابيوس القيصرى فى تاريخه الكنسى :

«وفى تلك الايام اشتهر يوستين بصفة خاصة ، واذ تنكر فى هيئة فيلسوف ، بشر بالكلمة الالهية ، وناضل عن الايمان بكتاباته» .

وكان يوستين يجول من بلد لآخر يعلن الحق الكتابى ، ووصل الى روما اثناء حكم انطونيوس بيوس *Antoninus Pius* (سنة ١٣٨ - ١٦١ م) واسس مدرسة هناك ، وكان تاتيان ـ الذى صار مدافعاً فيما بعد ـ احد تلاميذه فيها ، واتخذ يوستين من الفلسفة وسيلة للتبشير بالمسيحية والدفاع عنها ، وكان يعقد مقابلات عديدة مع اليهود والوثنيين ، وكذلك مع الهراطقة ، وفى هذه المناقشات اظهر صبراً وثباتاً عجيبين ، وقد لاقى فى روما مقاومة عنيفة ممثلة فى الفيلسوف الكلبى كريسنس *Crescens* الذى وصفه يوستين بالجهل .

وقد رفع الفيلسوف المسيحى دفاعيه الى الامبراطور انطونيوس بيوس وابنائه ، ونجد دفاعه هذا ملئ بالشجاعة والكرامة والانسانية ، فقد كان اتجاهه فى دفاعه هو عدم التوسل والخوف من القوة الغاشمة ، ويقول فى دفاعه موجهاً الكلام للامبراطور :

«أنتم تدعون فى كل مكان "بيوس" (أى تقى) ، حارس العدالة ، صديق الحق ، وستظهر اعمالكم ، اذا كنتم جديرين بهذه

الالقاب ، ولست اقصد من وراء ذلك ان اتملقكم ، او ان احصل منكم على احسان ما ، اننى ببساطة اسألكم ان تعاملوننا بقوانين العدالة المدققة المستنيرة ، وليس بمجرد الحدس ، او تحت تأثير خرافة تصدقونها بقصد ادخال السرور على الناس ... فان هذا يدينكم» .

وقد نال يوستين اكليل الاستشهاد فى روما فى ولاية الحاكم يونيوس رستيكوس *Junius Rusticus* (١٦٣ - ١٦٧) فى عهد الامبراطور انطونيوس بيوس ، ولدينا وصف موثوق به يروى وقائع استشهاده ، وهو وصف يعتمد على تقرير رسمى خاص بالبلاط الامبراطورى ، وبحسب هذه الوثيقة ، استشهد يوستين ومعه خمسة رجال وامرأة حوالى عام ١٦٥ م ، ويروى لنا المؤرخ يوسابيوس القيصرى ان يوستين استشهد «نتيجة لمؤامرة دبرها ضده كريسنس الفيلسوف الذى اقتدى بحياة وعادات الكلبيين * الذين حمل اسمهم ، وبعد ان هزمه يوستين مراراً فى

* الكلبيون *Cynics* : هم جماعة يتهكمون على الناس ولا يؤمنون بصلاح البشر ، ويسخرون بالعالم .

مناقشات ومناظرات عامة ، نال اكليل الظفر باستشهاده ، مائتاً دفاعاً عن الحق الذى كرز به» [٥] .

وقد توقع يوستين هذا مسبقاً اذ يقول :

«لذلك فاننى ايضاً اتوقع ان تدبر ضدى المؤامرات واوضع فى المقطرة على يدى احد الذين ذكرتهم ، او ربما على يدى كريسنس ، ذلك الرجل الجاهل الاحمق ، لأنه لا يستحق ان يُدعى فيلسوفاً ذاك الذى يشهد علناً ضد من لا يعرف عنهم شيئاً ، مصرحاً بان المسيحيين كفرة اشرار ، وذلك لمجرد تملق الجماهير وارضائهم ، وبذا اخطأ خطأ عظيماً .

لأنه اذ هاجمنا دون قراءة تعاليم المسيح ، برهن على تردى اخلاقه ، وعلى انه اجهل من غير المتعلمين ، الذين كثيراً ما يتحاشون ان يناقشوا اموراً لا يعرفون عنها شيئاً ، او ان يشهدوا عنها شهادات كاذبة ، اما ان كان قد قرأها ولم يدرك مقدار ما فيها من سمو ، او ان ادرك وفعل هذه الامور لكى لا يظن الناس انه مؤيد لنا ، فقد صار اكثر رداءة ، لاستعباده للمديح الباطل ، والخوف غير المعقول .

لأننى اريدكما ان تعلما اننى عندما اقترحت اسئلة معينة ووجهتها اليه ، علمت وبرهنت على انه لا يعرف شيئاً» [٦] .

وروى تاتيان ان يوستين استشهد نتيجة لمؤمرات كريسنس ، وذلك فى مؤلفه ضد اليونانيين ، اذ يقول [٧] :

«وذاك الذى نادى باحتقار الموت (اى كريسنس) كان هو نفسه فى اشد الفزع منه ، حتى انه سعى للحكم بالموت ـ وهو امر فى غاية الشر ـ على يوستين ، لأن هذا الاخير برهن ـ عند الكرازة بالحق ـ على ان الفلاسفة شرهين ودجالين» .

I
X
I X Θ Y Σ
Y
Σ

كتابات يوستين

كان يوستين كاتباً خصباً ، بيد انه لم يصلنا الا ثلاثة من اعماله التى ذكرها يوسابيوس القيصرى [١] ، وهى موجودة فى مخطوطة نُسخت سنة ١٣٦٤ م [٢] ، وهذه الاعمال هى :

* الدفاع الاول ضد الوثنيين .
* الدفاع الثانى ضد الوثنيين .
* حواره مع تريفو اليهودى .

وكتاباته تعلن عن شخصية صريحة صادقة تسعى للوصول الى اتفاق وتفاهم مع من تناقشه ، وكان يوستين مقتنعاً بان «كل من يستطيع ان يتكلم عن الحق ، ولا يتكلم ، سيُدان من الله» [٣] وهو يُعد اول كاتب كنسى حاول التوفيق بين المسيحية والفلسفة ، ويقول يوسابيوس المؤرخ عن كتابات يوستين :

«لقد ترك لنا هذا الكاتب آثاراً كثيرة عن عقل تهذب وتدرب فى الالهيات المليئة بكل ما هو نافع من كل نوع» .

١ - دفاعا يوستين

هذان الدفاعان هما اهم ما كتبه يوستين ويعلق عليهما يوسابيوس بقوله [٤] :

«هناك كتاب له ، دفاعاً عن عقيدتنا ، موجه الى انطونيوس الملقب بالصالح (او التقى - بيوس) والى ابنائه ، والى مجلس الاعيان الرومانى ، وهناك مؤلف آخر يتضمن دفاعه الثانى عن ايماننا ، قدمه الى خليفة الامبراطور السابق ذكره ، والذى حمل نفس الاسم انطونيوس فيروس» .

وقد وصلنا هذان العملان ، ونجد فى مخطوطة طويلة مقسمة الى ٦٨ فصلاً ، دفاعاً مرسلاً الى انطونيوس بيوس ، وفى مخطوطة اخرى قصيرة مقسمة الى ١٥ فصلاً ، دفاعاً مرسلاً الى مجلس الاعيان الرومانى ، لكن يرى العالم شوارتز *E. Schwartz* ان هذه المخطوطة القصيرة هى مجرد خاتمة وتلخيص للاولى ، فحديث يوسابيوس عن دفاعين كان فى الغالب السبب

فى تقسيم العمل فى المخطوطة الى جزئين ، واليوم يتفق معظم العلماء على ان الدفاع الثانى ما هو الا ملحق او اضافة للدفاع الاول ، وكلا الدفاعان مرسل الى الامبراطور انطونيوس بيوس (١٣٨ - ١٦١ م) ، ويبدو ان القديس يوستين كتبهما بين سنة ١٤٨ و ١٦١ ، لأنه يقول [٥] :

«المسيح ولد من ١٥٠ عاماً خلت تحت حكم كويرينيوس *Quirinius*» .

أ) الدفاع الأول

١ - المقدمة (الفصول ١ - ٣) : يطلب فيها يوستين باسم المسيحيين من الامبراطور ان يدرس قضيتهم بنفسه ، وان يصدر حكمه بدون ان يتأثر او يُضلل بكراهية الشعب الوثنى للمسيحيين .

٢ - الجزء الأساسى فى العمل : يتكون من قسمين :

أ - القسم الأول (الفصول ٤ - ١٢) : هو انتقاد للموقف الرسمى تجاه المسيحيين ، وهنا ينتقد يوستين الاجراءات القضائية

التى يتخذها الحكام عادة ضد المسيحيين ، وكذلك الاتهامات الكاذبة التى توجه اليهم ، ويعترض على ما تقوم به السلطات من معاقبة المسيحيين بلا رحمة لمجرد اعترافهم بمسيحيتهم ، والاسم «مسيحى» مثل الاسم «فيلسوف» لا يثبت اية ادانة للانسان ، والعقاب لا يُنزل باحد الا من اجل الجريمة التى أُدين بها ، لكن الجرائم التى أُتهم بها المسيحيون ما هى الا افتراءات باطلة ، فهم ليسوا ملاحدة ، وان كانوا لا يعبدون الالهة الوثنية ، فما ذلك الا لأن تكريم هذه الالهة هو حماقة ، ومعتقداتهم الاخروية (الاسخاطولوچية) ورعدتهم وخوفهم من العقاب الابدى تمنعهم من ارتكاب الاثم والشر ، وهم افضل مؤيدين للحكومة والامبراطورية .

ب - القسم الثانى (الفصول ١٣ - ٦٨) : يشرح الديانة المسيحية ، مقدماً وصفاً تفصيلياً بصفة خاصة لعقيدتها وعبادتها ، واساسها التاريخى ، والسبب فى قبول العقل لها ، ويعرض فيه يوستين لشقين :

أولاً : فكر المسيحيين العقيدى والاخلاقى

من النبوات الالهية يمكن اثبات ان يسوع المسيح هو ابن الله ومؤسس الديانة المسيحية ، وقد اسسها بحسب مشيئة الله كى يغير ويقوم الجنس البشرى ، والشياطين قلدت نبوات العهد القديم فى عبادات الوثنية الخرافية ، وهذا يفسر التشابهات العديدة بين الديانة المسيحية وبين طقوس العبادة الوثنية ، وبالمثل ، استعار الفلاسفة ـ افلاطون مثلاً ـ من العهد القديم ، لهذا السبب لا نندهش من وجود افكار مسيحية فى الفلسفة الافلاطونية .

ثانياً : العبادة المسيحية

يقدم المؤلف هنا وصفاً لسر المعمودية وخدمة الافخارستيا وحياة المسيحيين الاجتماعية وشركتهم .

٣ - الخاتمة (الفصل ٦٨)

هى لوم جاد للامبراطور ، وفى نهاية الدفاع الأول نجد الرسالة التى ارسلها الامبراطور هادريان *Hadrian* نحو عام ١٢٥ م الى مينوسيوس فوندانوس حاكم آسيا ، وهى وثيقة عظيمة الاهمية

فى تاريخ الكنيسة ، اذ انها تحوى تنظيمات وقرارات من اجل محاكمات اكثر عدلاً للمسيحيين ، وبحسب يوسابيوس ، قدم يوستين نسخة من هذه الرسالة فى اصلها اللاتينى الذى كُتبت به ، وقدمها بهذه الكلمات [٦] :

«وبالرغم من اننا ، بناء على رسالة الامبراطور الجليل الشأن هادريان ابيك ، لنا كل الحق فى ان نطلب ان تأمر ان تجرى المحاكمة كما نرغب ، الا اننا لا نطلب هذا بسبب صدور الامر من قِبل هادريان ، بل بالاحرى ليقيننا بان ما نطلبه عادل ، وقد ارفقنا بهذا (اى بالدفاع) صورة من رسالة هادريان لتعلم اننا نقول الحق فى هذا الامر ايضاً ، وهذه هى صورة الرسالة....» .

وقد ترجم يوسابيوس هذه الرسالة الى اليونانية وادخلها فى تاريخه الكنسى ، وكان نصها كالآتى :

«الى مينوسيوس فوندانوس : لقد استلمت رسالة كتبها الىّ سيرينيوس جرانيانوس * ، وهو الرجل العظيم جداً ، الذى خلفته

* هو حاكم اسيا قبل مينوسيوس الموجهة اليه الرسالة ، ومن اشهر الحكام ، =

انت ، واننى لا اراه صواباً ان يمر الامر دون فحص لئلا ينزعج الناس وتتهيأ الفرصة للغوغاء لارتكاب افعالهم الشريرة .

ولذلك ان استطاع سكان الاقليم (أى أسيا) ان يثبتوا بسهولة دعواهم ضد المسيحيين ، بحيث يقدمون اجابة شافية امام المحكمة فليسلكوا هذا الطريق وحده ، ولكن يجب ان لا تذعنوا لرغبات الناس او صخبهم ، لأنه ان رغب احد فى تقديم اى اتهام فمن اللائق جداً ان تفحصه ، لذلك ان اتهمهم احد ، واثبت انهم ارتكبوا امراً مخالفاً للقوانين ، اوقع القصاص (بهم) بما يتناسب مع شناعة الجريمة ، ولكن ، وحياة هرقل ، ان قدم احد اتهاماً لمجرد الوشاية ، فاحكم عليه بحسب جريمته واعطه ما يستحق من القصاص» [٧] .

= وقد كتب رسالة يدافع فيها عن المسيحيين اذ ذكر فيها انه ليس من العدل قتل المسيحيين دون اتهام معقول ومحاكمة قانونية ، بل لمجرد اشباع شهوة الغوغاء ، فارسل الامبراطور الرسالة الى مينوسيوس فوندانوس (تاريخ الكنيسة ليوسابيوس ٤ : ٨ : ٦) .

ب) الدفاع الثانى

يبدأ يوستين دفاعه بان يروى حادثة وقعت مؤخراً ، ذلك ان اوربيكوس *Urbicus* حاكم روما قطع رؤوس ثلاثة من المسيحيين لا لشئ الا لأنهم اعترفوا بمسيحيتهم ، ويعترض يوستين على هذه القسوة الظالمة ، ويجيب على اعتراضات عديدة ، فمثلاً ، يجيب عن السؤال الساخر الذى يردده الوثنيون عن لماذا لا يسمح المسيحيون بالانتحار كى يصلوا الى الههم بأسرع ما يمكن ويقول الفيلسوف المدافع يوستين فى اجابته :

«ان فعلنا هذا (اى الانتحار) سنكون نحن انفسنا مخالفين لارادة الله ، لكن عندما نُسأل (عن مسيحيتنا) لا ننكر ، لأننا لا نعرف اى شر ، بل نعتبره عدم تقوى ان لا ننطق بالحق فى كل الامور» [٨] .

والاضطهادات الموجهة للمسيحيين انما تثيرها كراهية الشياطين وبغضتهم للحق والفضيلة ، وهؤلاء الشياطين عينهم قاوموا البار فى العهد القديم وفى العالم الوثنى ، لكن ليس

لديهم اى قوة او سلطان على المسيحيين ما لم يرد الله ان يقود احباءه ، بالمحاكمات والآلامات ، الى الفضيلة والجعالة ، بالموت الى الحياة الابدية والفرح والغبطة ، وفى الوقت نفسه ، تمثل الاضطهادات بالنسبة للمسيحيين فرصة ثمينة لكى يثبتوا بطريقة قاطعة تفوق ايمانهم على خرافات الديانة الوثنية ، وفى نهاية الدفاع ، يسأل يوستين الامبراطور مرة ثانية ان لا يتأثر فى حكمه على المسيحيين الا بالعدل والتقوى ومحبة الحق .

٢ - الحوار مع تريفو اليهودى

إن حوار يوستين مع تريفو *Trypho* هو اقدم دفاع مسيحى وصلنا ضد اليهود ، ولكنه لم يصلنا كاملاً ، اذ فقدت المقدمة وجزء كبير من الفصل ٧٤ ، ولابد ان هذا الحوار كُتب بعد الدفاعين ، لأن يوستين يشير الى الدفاع الأول فى الفصل ١٢٠ من الحوار ، ويتضمن هذا الحوار مناقشتين مع يهودى متعلم من ابرز العبرانيين وقتئذ ، ويرى يوسابيوس (٩) ان مدينة افسس كانت مكان المحاورة ، وارسل يوستين هذا العمل الى شخص يُدعى ماركوس بومبيوس *Marcus Pompeius* ، ويتكون الحوار من ١٤٢ فصلاً :

المقدمة (٢ - ٨) : يروى فيها يوستين بالتفصيل قصة نموه الفكرى وقبوله للمسيحية .

الجزء الأول (٩ - ٤٧) : يشرح رأى المسيحيين فى العهد القديم فاللاهوت الموسوى كان ذا شريعة زمنية ، اما المسيحية فهى

الشريعة الجديدة الابدية للبشرية كلها .

الجزء الثانى (٤٨ - ١٠٨) : يقدم اسباب الاعتراف بالوهية السيد المسيح .

الجزء الثالث (١٠٩ - ١٤٢) : يثبت ان الامم التى آمنت بالسيد المسيح وتبعت شريعته ، هى اسرائيل الجديد وشعب الله المختار الحقيقى .

والمنهج الدفاعى الذى استخدمه يوستين فى هذا الحوار يختلف عن ذاك الذى فى دفاعيه ، لأنه موجه الى قارئ من نوع آخر تماماً ، وفى الحوار ، يؤكد يوستين على اهمية العهد القديم ويستشهد بالانبياء كدليل على ان الحق المسيحى كان موجوداً قبل تجسد الله الكلمة ، ولأن يوستين كان يختار بعناية استشهاداته من العهد القديم ، لذا نجده اختار الآيات التى تتحدث عن رفض اسرائيل وقبول الامم .

٣ - الكتابات المفقودة

بجانب دفاعيه وحواره ، كتب الفيلسوف الشهيد العديد من الكتابات التى فُقدت ولم يتبق منها الا العناوين فقط او شذرات ضئيلة ، وقد ذكر يوستين عنوان احد هذه الكتب ، وايريناؤس ذكر عنوان عمل آخر ، وقدم يوسابيوس قائمة باعمال يوستين ، كذلك وردت عناوين اخرى ذكرها كُتاب كنسيون آخرون :

١ - "ضد كل البدع *Liber Contra Omnes Haereses*" ويشير اليه يوستين فى دفاعه الاول ، ويوسابيوس فى تاريخه الكنسى [١٠] .

٢ - "ضد مرقيون *Against Marcion*" ، واستعان به القديس ايريناؤس فى كتابه "ضد الهرطقات" * ، واشار اليه يوسابيوس المؤرخ .

* أنظر كتابنا عن القديس ايريناؤس ضمن هذه السلسلة .

٣ - "مقالة ضد اليونانيين *Discourse Against the Greeks*" ويذكر يوسابيوس [١١] ان فيها «يناقش بتوسع معظم الامور المختلف عليها بيننا وبين فلاسفة اليونانيين ، ويناقش فيها كذلك طبيعة الشياطين» .

٤ - "التفنيد *A Confutation*" وهو بحسب يوسابيوس [١٢] مؤلف آخر ضد اليونانيين .

٥ - "عن سلطان الله *On the Sovereignty of God*" ويقول عنه يوسابيوس [١٣] : «كتبه معتمداً لا على اسفارنا المقدسة فحسب ، بل وايضاً على كتب اليونانيين» .

٦ - "عن النفس *On the Soul*" ويصف يوسابيوس [١٤] محتوياته بقوله : «يقدم فيه عدة اسئلة متنوعة عن الموضوع الذى يناقشه ، ويعرض رأى الفلاسفة اليونانيين ، ويعد بان يفندها ويقدم رأيه هو فى مؤلف آخر» .

٧ - "عن المزامير *Psalter*" وقد اشار اليه يوسابيوس .

لاهوت القديس يوستين

فى تحليلنا للاهوت يوستين ، لابد ان نتذكر انه ليس لدينا اى وصف كامل للايمان المسيحى بقلمه ، ولابد كذلك ان نأخذ فى الاعتبار ان اعماله اللاهوتية مثل "عن سلطان الله" و "عن النفس" و "ضد مرقيون" قد فُقدت كلها ، بينما لا يقدم دفاعاه وحواره مع تريفو صورة كاملة لفكره اللاهوتى ، اذ لابد انه فى كتابه "ضد كل البدع" كان يخوض فى مسائل العقيدة ، بينما فى دفاعه عن الايمان أمام غير المؤمنين ، كان يؤكد بالأكثر على معقولية الايمان واعتماده على العقل ، ويحاول تقديم اوجه الشبه بين تعليم الكنيسة وبين المفكرين والشعراء اليونانيين ، كى يثبت ان المسيحية هى وحدها الفلسفة الآمنة النافعة ... لذا ليس من الغريب ان لاهوت يوستين يكشف عن تأثير افلاطون ، اذ كان يوستين يعتبره اعظم فلاسفة الوثنية .

١ - الله

يؤكد يوستين على ان الله بلا بداية Ἀῤῥητοσ″، ومن هذه الحقيقة يستخلص انه بلا اسم :

«اما ابو الكل ، الذى هو غير مولود ، فلا يُعطى اسم ، لأنه مهما كان الاسم الذى يمكن ان يُدعى به ، يظل المُسمَى اكبر من المُسمِى ، لكن كل هذه الكلمات أب ، اله ، خالق ، سيد ، ليست اسماء ، بل هى القاب مأخوذة من اعماله الصالحة ....» .

وافضل اسم هو "أب" لأنه لكونه خالق ، هو فعلاً أبو الكل Πατὴρ Τῶν Ὅλων, Ὁ Πάντων Πατὴρ والله «لا يمشى ولا ينام ولا ينهض ، بل يظل فى مكانه ، سريعاً فى الرؤية ، سريعاً فى السمع ، ليس له عيون او آذان ، بل قوة لا توصف ، وهو يعرف كل الاشياء ، ولا يهرب احد من امامه ، وهو لا يتحرك ولا يُحد فى بقعة ما فى العالم ، بل هو موجود من قبل انشاء العالم ، فكيف اذاً يمكن ان يتكلم مع احد ، او يراه احد» [١] .

٢ - مريم وحواء

كان يوستين اول كاتب مسيحى يطور المقارنة التى عقدها لسان العطر بولس الرسول بين المسيح وادم ، وذلك بمقارنته بين مريم العذراء وحواء ، وفى حواره مع تريفو [١] يقول :

«لقد صار المسيح انساناً من عذراء لكى يُزال العصيان النابع من الحية بنفس الطريقة التى حدث بها ، لأن حواء التى كانت عذراء عفيفة ، صدقت كلمة الحية فنتج عصيان وموت ، لكن العذراء مريم نالت ايماناً وفرحاً عندما بشرها الملاك غبريال بالاخبار المفرحة ، بان روح الرب سيحل عليها وان قوة العلى ستظللها والقدوس المولود منها يدعى ابن الله ، واجابت "ليكن لى كقولك" ومنها ولد ذاك الذى اثبتنا ان الكثير من الاسفار المقدسة يشير اليه ، والذى به سحق الله الحية وملائكتها والبشر الذين مثلها» .

٣ - المعمودية والافخارستيا

إن للوصف الذى قدمه يوستين لليتورجية المعمودية

والافخارستيا اهمية عظمى ، ويأتى هذا الوصف فى خاتمة دفاعه الأول ، فيقول عن المعمودية :

«سوف اروى كيف نكرس انفسنا لله بعد ان نتجدد بالمسيح ، لئلا اذا لم تذكر ذلك نبدو غير امناء فى شرحنا الذى نقدمه .

يتعلم كل الذين يقتنعون ويؤمنون ان ما نقوله ونعلمه هو حق ، والذين يسعون ليحيوا بحسب ذلك ، ان يصلوا ويتضرعوا لله باصوام من اجل مغفرة خطاياهم السابقة ، ونحن نصلى ونصوم معهم .

ثم نحضرهم الى حيث الماء ، ويتجددون بنفس الطريقة التى اغتسلنا بها نحن من قبل ، فينالون غسل الماء باسم الاب رب الكون ، وباسم مخلصنا يسوع المسيح ، وباسم الروح القدس ...

وقد تعلمنا من الرسل سبب ذلك ، فإنه لما كنا عند ميلادنا الأول نولد بدون معرفتنا وبدون اختيارنا باجتماع والدينا ، ونتربى فى عادات رديئة وسلوك شرير ، لذا لكى لا نصير ابناء ظروفنا الاضطرارية والجهل ، بل نصير ابناء الاختيار والمعرفة ،

ولكى ننال فى الماء غفران الخطايا التى ارتكبناها سلفاً ، يُنطق على ذاك الذى يختار ان يُولد ثانية ويتجدد والذى تاب عن خطاياه ، اسم الله الاب رب الكون ، والذى ينطق بهذا هو من يقود الشخص الذى سوف يغتسل الى الجرن ويسميه بهذا الاسم فقط ، ويُسمَّى هذا الغسل استنارة ، لأن هؤلاء الذين يتعلمون هذه الامور يستنيرون روحياً ، لكن ايضاً يُغسل ذاك الذى يستنير باسم يسوع المسيح الذى صلب فى عهد بيلاطس البنطى ، وباسم الروح القدس الذى تنبأ بالانبياء كل الامور عن يسوع» (١) .

ويرى الفيلسوف الشهيد فى قصة اخراج اليشع الفأس من الماء رمزاً للمعمودية فيقول :

«كما ان اليشع القى خشبة فى نهر الاردن فاستعاد من الماء الحديد (الفأس) ، الذى به اراد بنو الانبياء ان يقطعوا الخشب ليبنوا منازلهم ، كذلك ايضاً خلصنا مسيحنا فى المعمودية من اثقل الخطايا بصلبه على الخشبة ، وبالمعمودية فى الماء» (٢) .

ويعقد القديس يوستين مقارنة بين ربنا يسوع المسيح فصحنا

الجديد وبين خروف الفصح فى العهد القديم ، ليؤكد على عظم قوة علامة الصليب التى تخلص الخطاة الذين يختمون بها فى المعمودية المقدسة :

«هؤلاء الذين خلصوا فى مصر (من الملاك المهلك) ، خلصوا بدم الفصح الذى مسحوا به قوائم الابواب وعوارضها ، لأن الفصح كان المسيح الذى قُدم ذبيحة فيما بعد ، وكما ان دم الفصح خلص هؤلاء الذين كانوا فى مصر ، كذلك دم المسيح يحفظ هؤلاء الذين آمنوا به من الموت ، ولكن هل يعنى هذا ان الله كان سيخطأ لو كانت هذه العلامة غير موجودة ؟ (أى هل كان سيهلك ابكار بنى اسرائيل ايضاً مع ابكار المصريين ؟) لا ، لكنها اعلنت مسبقاً الخلاص الذى كان سيأتى بدم المسيح ، الذى خلّص (الخطاة) من كل الأمم ، عندما تابوا وندموا على اثامهم وكفوا عن الخطية» [٣] .

وكلمة "علامة *Sign*" بالنسبة ليوستين تعنى علامة الصليب المقدس ، فعلامة الصليب المصنوعة بالدم هى التى حفظت اليهود من ضربة الملاك المهلك ، وهى العلامة التى تخلص كل من يُختم

بها فى حميم الميلاد الثانى اى المعمودية .

وهناك وصفان للخدمة الافخارستية فى دفاع يوستين الاول :

الوصف الأول (فصل ٦٥) يصف فيه ليتورچيا الافخارستيا التى يمارسها المعتمد حديثاً .

الوصف الثانى (فصل ٦٧) يقدم فيه تفاصيل خدمة قداس الأحد .

ففى *وصفه الأول* يقول :

« ٦٥ ـ بعد الانتهاء من الصلوات يُحيى كل منا الآخر بقبلة ، وعندئذ يحضرون لرئيس الاخوة خبزاً وكأس خمر ممتزجاً بالماء ، فيأخذهما مقدماً التسبيح والمجد لابى الجميع باسم الابن والروح القدس .

ويشكر كثيراً لأننا حُسبنا مستحقين ان نعطى هذه الاشياء من يديه ، ومتى انتهى من الصلوات والتشكرات يجيب الشعب الحاضر بالقبول قائلين "آمين" ، وكلمة "آمين" فى العبرية تعنى "هكذا يكون" .

وبعدما يقدم الرئيس الشكر ويجيب الشعب بالقبول ، يقدم أولئك الذين ندعوهم شمامسة للحاضرين نصيباً من الخبز والخمر الممزوج بالماء والذين صُلى عليهما "الشكر" ، اما الغائبون فيحملون اليهم نصيباً .

٦٦ ـ هذا الطعام ندعوه افخارستيا ، ولا يسمح لاحد ان يشترك فيه الا :

الذى يؤمن ان ما نُعلّم به هو حق
والذى نال الاغتسال لمغفرة الخطايا والتجديد
والذى يسلك بحسب ما امرنا السيد المسيح

اذ اننا لا نقبل هذه الامور (النعم) كخبز او شراب عاديين ، بل كما تجسد كلمة الله يسوع المسيح مخلصنا واخذ جسداً ودماً لاجل خلاصنا ، كذلك تعلمنا ايضاً ان هذا الطعام الذى تقدس بصلاة الكلمة (اى بصلاة ربنا يسوع كلمة الله) التى خرجت منه ، والذى منه يتغذى جسدنا ودمنا بالتحول (اى بتحول هذا الطعام الى جسد ودم المسيح) ، هو جسد ودم يسوع الذى صار جسداً .

فقد سلمنا الرسل فى مذكراتهم التى تدعى الاناجيل ما قد أُعطوا وصية به ، ذلك ان يسوع اخذ خبزاً وشكر وقال "اصنعوا هذا لذكرى ، هذا هو جسدى" وأيضاً أخذ الكأس وشكر قائلاً لهم "هذا هو دمى" واعطاه لهم وحدهم» .

اما *وصفه الثانى* لسر الافخارستيا فى نفس الدفاع فيقول فيه :

«٦٧ ـ وفى اليوم الذى يسمى "الاحد" يجتمع كل الذين فى المدن والقرى فى مكان واحد ، وتُقرأ مذكرات الرسل او كتابات الانبياء بقدر ما يسمح الوقت .

وعندما ينتهى القارىء من القراءة ، يعظ الرئيس ويحثنا على الاقتداء بهذه الامور الصالحة (التى سمعناها) ، وبعدها نقف جميعاً ونرفع صلواتنا .

وكما اسلفت ، بعدما ننتهى من الصلاة ، يُحضر الخبز والخمر والماء ، ويرفع الرئيس الصلوات والشكر (افخارستيا) بقدر استطاعته ويجيب الشعب بالقبول قائلين "امين" ، عندئذ يتقدم

الجميع ويتناولون (من الجسد والدم) ويشتركون فيما قُدم عليه التشكرات ، اما الغائبون فيُرسل لهم نصيباً مع الشمامسة . وهؤلاء الذين هم فى يسر يساهمون بالعطاء بقدر ما يريدون ، ويُودع ما قد جُمع لدى الرئيس الذى يهتم بالايتام والارامل ، وبكل من هم فى عوز بسبب المرض او لأى سبب آخر ، وكذلك يهتم بالمسجونين والغرباء بيننا ، وبإختصار ، هو الذى يعتنى بكل من هم فى عوز .

ونحن نقيم هذا الاجتماع كل يوم احد ، لانه اليوم الاول الذى فيه ـ بعد ان غيّر الله الظلمة والمادة ـ خلق العالم ، ولان فيه قام مخلصنا يسوع المسيح من الاموات » .

وفى حواره مع تريفو (الفصل ٤١) عرّف الافخارستيا بوضوح انها تلك الذبيحة التى تنبأ عنها ملاخى النبى ، فيقول :

« "ليست لى مسرة بكم قال رب الجنود ، ولا اقبل تقدمة من يدكم ، لانه من مشرق الشمس الى مغربها اسمى عظيم بين الامم وفى كل مكان يقرب لاسمى بخور وتقدمة طاهرة لان اسمى

عظيم بين الامم قال رب الجنود ، أما انتم فمنجسوه" {ملا ١ : ١٠ - ١٢} اذاً هو يتكلم هنا عن هؤلاء الامم ، أى نحن ، الذين فى كل مكان يقدمون له ذبائح اعنى خبز الافخارستيا وايضاً كأس الافخارستيا ، مؤكداً اننا نمجد اسمه وانكم تدنسونه» .

ويرفض يوستين كل الذبائح الدموية التى من المخلوقات التى كان اليهود والوثنيون يقدمونها ، فيقول :

«انى اعترف انه ليس هناك ذبائح كاملة مرضية لله إلا الصلوات والتشكرات التى يقدمها المنسحقون» (٤) .

«لقد تعلمنا ان الكرامة الوحيدة اللائقة به ، ليست حرق الاشياء التى خلقها لغذائنا بل أن نخصصها لاستخدامنا ولنفع هؤلاء الذين فى عوز ، فى ملء الشكر له ، مُقدمين صلوات طاهرة وتسابيح ، من اجل الخليقة وكل اسباب الصحة (التى وهبها لنا) ومن اجل تنوع المخلوقات وتغير فصول السنة» (٥) .

فالشهيد المدافع لا يقر إلا ذبيحة الصلاة خاصة الصلاة الافخارستية ، ويُعلم بإننا يجب ان نقدم لله الذبيحة العقلية

Λογικὴ Θυσία ، فيجب ان تبطل الذبائح المادية الدموية ، لان الافخارستيا هى الذبيحة الروحية التى طال الاشتياق اليها ، هى الذبيحة العقلية Λογικὴ Θυσία (لوغيكى ثيسيا) ، لان "اللوغوس Λογοσ" نفسه ، يسوع المسيح ، هو الذبيحة .

✝ ✝ ✝

٤ - القيامة

معقولية القيامة

«لو كنتم غير ما انتم عليه ... واراكم شخصاً ما بذرة بشرية *human seed* وصورة لانسان ، واكد لكم ان الاول سينمو الى ان يصير مثل الثانى ، فهل ستصدقون قبل تروا ذلك يحدث فعلاً ؟ بالتأكيد لا ، وهكذا بالمثل يسود عدم الايمان بقيامة الاموات ، لانكم لم تروا قط مثالاً لها ، لكن كما قال معلمنا يسوع المسيح "غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله" {لو١٨:٢٧}». (١)

ملك المجد

«"ارفعوا ايها الرؤساء ابوابكم وارتفعى ايتها الابواب الدهرية

ليدخل ملك المجد" {مز ٢٤ : ٧} . عندما قام المسيح من بين الاموات وصعد الى السماء ، أمر الرؤساء الذين اقامهم الله فى السماء ان يفتحوا ابواب السماء ، لكى يدخل ملك المجد ، ويصعد ليجلس عن يمين الآب ، حتى يضع اعداءه موطئاً لقدميه ، لكن عندما رأه رؤساء السماء بلا جمال ولا كرامة ولا مجد ، لم يعرفوه ، وقالوا "من هو ملك المجد" » . (٢)

«عندما صعد الغالب ، بجسده القائم من بين الاموات ، قالت بعض القوات "من ذا الآتى من ادوم بثياب حمر" {اش ٦٣ : ١} لكن هؤلاء الذين رافقوه (فى الصعود) قالوا لهؤلاء القائمين على ابواب السماء "ارتفعى ايتها الابواب الدهرية" » . (٣)

قام بالجسد

«لو كانت القيامة روحية فقط ، لكان اظهر (أى ربنا يسوع المسيح) فى اقامته للموتى ان الجسد يرقد وحده والنفس تحيا وحدها ... لماذا قام بالجسد الذى تألم فيه إلا لكى يُظهر قيامة الجسد ؟ واذ اراد ان يؤكد ذلك ، عندما لم يعرف التلاميذ هل يؤمنون انه قام فعلاً فى الجسد ام لا ، وكانوا ينظرون اليه

ويشكون ، قال لهم : "ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر افكار فى قلوبكم ، انظروا يدى ورجلى انى انا هو" {لو ٢٤ : ٣٨ - ٣٩} وجعلهم يلمسونه واظهر لهم آثار المسامير فى يديه» . (٤)

ملكوت السموات

«عندما تسمعون اننا نطلب ملكوتاً ، تندفعون فتظنون اننا نقصد شيئاً بشرياً ، لكننا نتكلم عن ملكوت مع الله ، كما هو واضح من اعترافنا بالمسيح عندما تقدموننا للمحاكمة ، رغم اننا نعلم ان الموت هو جزاء هذا الاعتراف ، لاننا لو كنا نطلب ملكوتاً ارضياً ، لكنا انكرنا ذلك لكى ننقذ حياتنا ، ولحاولنا ان نظل مختفين كى ننال الاشياء التى نطلبها ، لكن لاننا لا نضع رجاءنا على امور حاضرة ، لذا لا ننزعج ولا نضطرب من الحكم علينا بالموت ، لاننا لابد ان نموت بطريقة ما على اية حال .

من ذا الصحيح العقل الذى يصدق اننا ملاحدة ، بينما نحن نعبد خالق الكون ، معلنين انه ـ كما تعلمنا ـ ليس فى حاجة الى دم او خمر او بخور ، ونمجده بكلمة الصلاة والشكر على كل ما اعطاه لنا ؟» . (٥)

يونان والمسيح

«انتم اليهود تعرفون جيداً احداث حياة يونان ، ورغم ان المسيح اعلن لكم انه سيعطيكم علامة يونان ، وحثكم على ان تتوبوا عن خطاياكم على الاقل بعد قيامته من بين الاموات ، وعلى ان تنوحوا امام الله كما فعل اهل نينوى حتى لا يؤسر شعبكم ومدينتكم ولا يهلكا كما حدث .

إلا انكم ، ليس فقط ترفضون ان تتوبوا بعد ان علمتم انه قام من بين الاموات ، لكن كما قلت ، اخترتم رجالاً واوفدتموهم لكى يسافروا الى العالم المتحضر كله ويقولوا :

"لقد نشأت طائفة بلا اله وبلا ناموس عن طريق محتال يدعى يسوع من الجليل ، وقد سمرناه على الصليب ، إلا ان تلاميذه سرقوا جسده من القبر بعد ان أنزل من على الصليب ، ويحاولون الان ان يخدعوا الناس بأن يؤكدوا انه قام من الاموات وصعد الى السموات" .

وتتهمونه بأنه علم بهذه التعاليم الشريرة المثيرة للشغب الخالية من الوقار التى فى كل مكان تتهمون بها هؤلاء الذين

يرفعون عيونهم اليه ويعترفون به انه مسيحهم ومعلمهم وابن الله ... والان ايضاً بعد ان أُسرت مدينتكم وسُلبت بلدكم ، ليس فقط ترفضون أن تتوبوا ، بل بجرأة تلعنونه هو وأتباعه ، ومع ذلك ، نحن المسيحيون لا نبغضكم ولا نبغض هؤلاء الذين يصدقون هذه الاشاعات الشريرة التى نشرتوها ضدنا ، بل على العكس ، نحن نصلى لكى تصلحوا طرقكم وتجدوا رحمة عند الله ، ابو الكل والكلى المحبة والرحمة» . (٦)

الكرازة بالقيامة

«لقد قيل بداود النبى ان الله ابو الكل سيرفع المسيح الى السماء بعد ان اقامه من بين الاموات ، وعندئذ ينتظر (الله الآب) ليخضع الشياطين الذى هم اعداؤه الى ان يكتمل عدد هؤلاء الذين يعرف مسبقاً انهم سيكونون صالحين ومحبين للفضيلة ، ولاجلهم لم يهلك العالم بعد بالنار ، وهذه هى الكلمات (التى قيلت بداود) :

"قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى اضع اعداءك موطئاً لقدميك ، يرسل الرب قضيب عزك من صهيون ، تسلط فى

وسط اعدائك ، شعبك منتدب فى يوم قوتك فى زينة مقدسة من رحم الفجر لك طلُّ حداثتك" {مز ١١٠ : ١ - ٣} .

والكلمات "يرسل لك الرب قضيب عزك من صهيون" انما هى نبوة عن الكلمة القادرة التى كرز بها الرسل فى كل مكان منطلقين من اورشليم ، والتى نستلمها ونعلمها فى كل مكان ، رغم ان حكم الموت صدر ضد كل هؤلاء الذين يُعلمون او حتى يعترفون باسم المسيح .... اذا اجبتم عن هذه الكلمات بعداوة ، لن تستطيعوا ان تفعلوا اكثر من ان تقتلونا ـ كما قلنا سلفاً ـ وهذا لن يؤذينا او يضرنا ، بل سيصدر حكم عقاب ابدى بالنار عليكم وعلى كل الذين هم اعداء ظالمون (للانجيل) ولا يتوبون». (٧)

✝ ✝ ✝

٥- الفكر الاخلاقى المسيحى

فى دفاعه الاول ، قدم يوستين ملخصاً واضحاً للفكر الاخلاقى المسيحى اذ اراد ان يظهر للوثنيين عظمة وبهاء الحياة

المسيحية فى المقابلة مع ظلمة وضلال الحياة الوثنية ، فيقول :

«اننا ننصحكم (ايها الوثنيون) أن تحذروا لئلا الشياطين التى خدمتمونها قبلاً ، تخدعكم الآن وتمنعكم من قراءة وفهم الامور التى سنقولها ......

إننا الان نطيع اللوغوس كلمة الله ، ورفضناهم وهجرناهم (أى الشياطين) ونتبع الله الواحد الحقيقى الكلى القدرة بإبنه (بواسطة ابنه) ..

لقد سرنا قبلاً فى النجاسات ، والآن نحب ونحفظ العفة فقط ، بينما استخدمنا فنون السحر فى الماضى ، نحن الآن مكرسون لله ضابط الكل ، فيما سبق احببنا المال والقنية فوق كل ما عداها ، اما الآن فنترك الاشياء القليلة التى نمتلكها فى شركة ونوزعها على الاكثر احتياجاً .. .

ولئلا يُظن اننا نخدعكم ، نرى انه من الافضل ان نسرد لكم بعضاً من تعاليم المسيح نفسه .. كلماته مختصرة وواعية ، لانه لم يكن مجادلاً سوفسطائياً ، لكن كانت كلمته قوة الله .

فعن العفة يقول "كل من نظر الى إمرأة ليشتهيها ، فقد زنى بها فى قلبه" {مت ٥ : ٢٨} ومن يتزوج ثانية بعد طلاق ـ متبعاً القوانين البشرية ـ يعتبر خاطئاً امام قاضينا ، كذلك ذاك الذى ينظر الى امرأة بشهوة ، اذ ليس فقط الذى يزنى فعلاً مرفوض من قبله ، بل وايضاً ذاك الذى يشتهى ان يزنى ، لانه ليس فقط افعالنا بل وافكارنا ايضاً معروفة لله .

وهناك الكثير من الرجال والنساء لهم من العمر ٦٠ او ٧٠ عاماً ، وهم تلاميذ للمسيح منذ شبابهم ، وحفظوا بتوليتهم ، وانا اعلن اننى استطيع ان اريكم مثل هؤلاء فى كل ارض وكل شعب ، ويمكننا ان نتذكر حشد عظيم لا يُحصى تحول من حياة الفجور وتعلم كل هذه الامور ، لان المسيح لم يدعو العادل والعفيف فقط ، بل دعا ايضاً الردىء والفاجر والظالم ، لان اباه السمائى يريد توبة الخاطىء اكثر من عقابه .

وقد اوصانا ان نكون صبورين فى الضيقات ، مستعدين لنخدم الكل ، ولا نغضب ... لم يريدنا ان نكون صانعى مشاكل ولا اضطرابات ، ولا نقتدى بفاعل الاثم ، بل حث على ان نحتمل

بصبر ووداعة امام خلاعة وجشع الاشرار، وفعلاً يمكننا ان نظهر هذه الامور فى الكثير من الذين بينكم ، وهم قد انجذبوا (للحياة المسيحية) اما بسبب ما رأوه من ثبات واستقرار حياة جيرانهم او بسبب معرفتهم بالصبر الذى ليس له مثيل المستعلن فى جماعاتنا المسلوبة ، او بسبب خبرتهم مع هؤلاء المسيحيين الذين تعاملوا معهم ، وهو (أى السيد المسيح) يوصينا ان لا نحلف قط ، وان نقول الحق دوماً ... وعندما قال له شخص ما "ايها المعلم الصالح" اجابه "ليس صالح إلا الله وحده الذى صنع كل الاشياء" ... وهؤلاء الذين لا يعيشون بحسبما علّم ، يجب ان لا يُحسبوا مسيحيين ، ولا هؤلاء الذين يعترفون بعقائدهم فى المسيح بلسانهم فقط ، لانه قال انه ليس الذين يعترفون به ، بل الذين يعملون اعماله ، سيخلصون .. بل اننا حتى نريد ان تعاقبوا هؤلاء الذين يقولون انهم مسيحيون ولا يعيشون بحسب عقيدتهم .

وقبل كل شىء آخر نحاول ان ندفع الضريبة والجزية الى هؤلاء عينتوهم فى كل مكان ، بحسبما تعلمنا منه (أى من السيد

المسيح) ، فقد حدث فى ايامه ان اقترب منه البعض وسألوه هل يجوز دفع الجزية لقيصر ، فسألهم : "لمن هذه الصورة والكتابة" فاجابوا : "لقيصر" ، فقال لهم : "اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله" {مر ١٢ : ٤٨} .

لذا نحن نعبد الله الواحد وحده ، وبسرور نخدمكم فى كل الاشياء الاخرى ، معترفين انكم الملوك والامراء على البشر ، ونصلى كى يصير لكم حكم صحيح فى سلطتكم القانونية .

لكن اذا اهملتمونا رغم اننا نصلى لاجلكم ، ونعرض كل شىء لدينا صراحة فى النور ، فلن نعتبر ذلك خسارة ، لاننا مؤمنون ومقتنعون ان كل واحد سيجُازى بحسب شهواته فى النار الابدية ، وانه لابد لكل احد ان يقدم حساب المواهب التى أعطيت له ، لان المسيح اعلن : الذى اعطى الله له اكثر ، سيُسأل منه اكثر» (١) .

ويشرح لليهود رمزية ايام الفطير التى فى الفصح وما تحويه من مفاهيم روحية واخلاقية سامية فيقول :

«ان الفطير يعنى انه يجب ان لا تصنعوا ثانية الاعمال العتيقة التى للخمير الشرير ، لكنكم فهمتم كل شىء بمعنى جسدانى فقط ، لذلك اوصاكم الله ان تخبزوا خميرة جديدة ، بعد سبع ايام الفطير الذى بدون خمير ، والذى يرمز الى ممارسة الاعمال الجديدة» [٢] .

٦ - سر السبت

يشرح الشهيد يوستين ان الله لم يرد حفظ السبت بمعنى حرفى ، وانه قد اوصى بحفظه ليس كرامة لاسرائيل بل بسبب شرهم ، فنوح وملكى صادق ـ قبل اسرائيل ـ لم يحفظا السبت ومع ذلك ارضا الله ، وكذلك سائر الابرار حتى موسى النبى الذى فى عهده صنع الشعب عجلاً ذهبياً وضلوا وحادوا عن طريق الرب ، ويخلص يوستين الى أن غاية وصية حفظ السبت كانت ان يحفظ اسرائيل الله فى ذهنهم ويبقوه فى معرفتهم [١] ، ويخاطب يوستين اليهود قائلاً :

«هل اراد الله ان يجعل كهنتكم يخطئون عندما يقدمون الذبائح فى يوم السبت ، وايضاً هؤلاء الذين يختنون او يختتنون

فى يوم السبت ، لانه يوصى ان الاطفال المولودين حديثاً يجب ان يختتنوا فى اليوم الثامن حتى ولو كان سبتاً» . [٢]

وهو هنا يكرر نفس قول ربنا يسوع المسيح له المجد فى متى (١٢ : ٥) .

كذلك شرح ان الله يحفظ العالم ويحكمه فى يوم السبت فيقول :

«الله يحكم العالم فى ذلك اليوم كما يحكمه فى كل الايام الاخرى» . [٣]

«انظروا النجوم انها لا تستريح ولا تحفظ السبت» . [٤]

ويشرح ان ابرار العهد القديم قبل موسى لم يحفظوا السبت ولا كانوا مختونين : «هؤلاء المدعوون ابراراً مثل موسى وابراهيم والذين كانوا يصنعون مرضاة الله ، لم يكونوا مختونين ولا كانوا يحفظون السبت ، لماذا لم يعلمهم الله هذه الممارسات ؟» . [٥]

٧ - اليوم الثامن

رأى القديس يوستين فى اليوم الثامن رمزاً واضحاً لقيامة

مخلصنا يسوع المسيح من بين الاموات ، ونجد فكره هذا مُعلناً وواضحاً فى مواضع عدة فى حواره مع تريفو ، ففى شرحه لمفهوم الطوفان ، نجده يتبع تعليم القديس بطرس الرسول (٢ بط ٣ : ٣ - ١٠) ويقول :

«فى الطوفان تم سر خلاص الانسان ، ونوح البار ومعه اناس اخرون أى زوجته وابناؤه الثلاثة وزوجاتهم يشكلون رقم ٨ ، وبهذا اظهروا رمزية اليوم الثامن الذى فيه ظهر مسيحنا قائماً من بين الاموات ، والذى هو اليوم الاول ، لان المسيح بكر كل خليقة ، صار بمعنى جديد رأس جنس جديد ، ذلك الجنس الذى ينال الميلاد الثاني بواسطته هو ، بالمياه والخشبة التى تضمنت سر الصليب ، كما خلص نوح بخشبة الفلك» . [١]

وفى حديثه عن المفهوم الحقيقى للختان يقول :

«ان وصية الختان ، التى توصى بأن يختتن الاطفال فى اليوم الثامن ، هى رمز للختان الحقيقى الذى ختنك به من الخطية ذاك الذى قام من الاموات اول ايام الاسبوع ، يسوع المسيح ربنا ، لان اول يوم فى الاسبوع هو ايضاً اليوم الثامن» . [٢]

٢ - كوادراتوس

Quadratus

يُعد كوادراتوس اقدم مدافعى المسيحية ، ونحن مدينون للعلامة يوسابيوس القيصرى المؤرخ بكل ما نعرفه عن هذا المدافع ، اذ يقول عنه فى تاريخه الكنسى [١] :

«وبعد ان حكم تراجان تسع عشرة سنة ونصف (٩٨ - ١١٧) خلفه فى حكم الامبراطورية اليوس هادريان * ، وقد وجه اليه كوادراتوس حديثاً متضمناً الدفاع عن ديانتنا ، لأن بعض الأشرار حاولوا ازعاج المسيحيين ، ولا يزال هذا المؤلف بين ايدى الكثير من الاخوة ، وفى ايدينا أيضاً ، وهو برهان قوى على ذكاء الرجل وعلمه وعلى ارثوذكسيته الرسولية ، وهو يظهر قدم

* هادريان خلف تراجان فى حكم الامبراطورية ، واسمه بالكامل اليوس هادريان ، وحكم من ٨ أغسطس سنة ١١٧ م الى ١٠ يوليه سنة ١٣٨ وخلفه انطونيوس على العرش .

عهده وذلك فى الكلمات التالية : "واعمال مخلصنا كانت دائماً ماثلة امامنا لأنها حق ، فالذين نالوا الشفاء ، والذين أقيموا من بين الاموات ، شُوهدوا ـ ليس فقط حينما نالوا الشفاء واقيموا ـ بل انهم ظلوا موجودين دوماً أثناء حياة المخلص وبعد موته مدة طويلة من الزمن ، وبعضهم ظل عائشاً حتى عصرنا"» .

وان كنا لا نعلم على وجه الدقة موطن كوادراتوس ، الا ان البعض [٢] يرجح انه من رجالات اسيا الصغرى ، اما تاريخ كتابة هذا الدفاع فهو فى الفترة من سنة ١٢٣ الى سنة ١٢٩ .

ويرى عالم الآباء جونز كواستن [٣] *Quasten* ان القديس چيروم [٤] لم يوافقه الصواب حينما ذكر ان كوادراتوس المدافع هذا هو عينه كوادراتوس اسقف اثينا والذى عاش اثناء حكم مرقس اوريليوس .

ΙΧΘΥΣ

٣ - اريستيدس الاثينى

Aristides of Athens

إن اقدم دفاع وصلنا هو دفاع اريستيدس الاثينى ، ويقول يوسابيوس القيصرى بعد حديثه عن كوادراتوس :

«كذلك ترك لنا اريستيدس ، وهو مؤمن غيور ، دفاعاً عن الايمان مثل كوادراتوس ، موجهاً الى هادريان ، ولا يزال مؤلفه باقياً الى الآن أيضاً لدى اشخاص كثيرين» [١] .

اما القديس چيروم فيقول عنه فى كتابه «مشاهير الرجال» : [٢]
«اريستيدس اكثر الفلاسفة الاثينيين بلاغة ، كان تلميذاً للسيد المسيح ، وبينما كان لا يزال محتفظاً بزيه الفلسفى ، اهدى كتاباً الى الامبراطور هادريان فى نفس الوقت الذى قدم فيه كوادراتوس كتابه (الى الامبراطور) ، ويحتوى الكتاب على نظريات لاهوتية منظمة عن عقيدتنا المسيحية وسماه "دفاع عن المسيحيين" ، ولا يزال هذا الكتاب متداولاً ويقرأه الفلاسفة دلالة على بلاغته» .

وكذلك ذكر يوسابيوس فى موضع آخر من كتاباته ان اريستيدس كان فيلسوفاً من اثينا ، ولزمان طويل أعتبر عمله مفقوداً ، حتى نشرت جماعة من الرهبان الارمن فى البندقية سنة ١٨٧٨ مخطوطة ترقى الى القرن العاشر ، وهى عبارة عن شذرة ارمنية من دفاع يحمل العنوان "الى الامبراطور هادريان من الفيلسوف الاثينى اريستيدس" ، وظن الغالبية العظمى من الدارسين ان هذه القطعة هى ما تبقى من ترجمة ارمنية لدفاع اريستيدس الذى ذكره يوسابيوس وچيروم ، الى ان اكتشف الباحث الامريكى ريندل هاريس *Rendel Harris* سنة ١٨٨٩ فى دير سانت كاترين فى سيناء ، ترجمة سريانية كاملة للدفاع ، وبمساعدة هذه الترجمة ، استطاع روبنسون *J. A. Robinson* ان يثبت ان النص اليونانى لهذا العمل كان موجوداً من قبل ، بل ونُشر لبعض الوقت فى شكل قصة دينية كتبها احد الرهبان من دير القديس سابا فى فلسطين فى القرن السابع ، ويقدم فيها الدفاع على انه من وضع احد الفلاسفة الوثنيين يدافع فيه عن المسيحية .

وبذلك يكون هذا الدفاع قد وصلنا فى ثلاثة اشكال :

١ - القصة التى كتبها راهب دير القديس سابا ، وهى باليونانية وكتبت نحو عام ٦٣٠ م .

٢ - المخطوطة التى فى دير سانت كاترين فى سيناء والتى تحوى الترجمة السريانية للعمل كله ، وقد كتبت فى الغالب ما بين القرن السادس والقرن السابع ، الا ان الترجمة نفسها تعود الى عام ٣٥٠ .

٣ - الترجمة الارمنية والتى لم يُعثر الا على جزء منها .

وقد نُشر مؤخراً جزءان كبيران من النص اليونانى الاصلى من بردية فى المتحف البريطانى .. وبمساعدة هذا كله ، نستطيع ان نُعيد تجميع النص كله .

مضمون الدفاع

تصف المقدمة الكيان الالهى بمصطلحات وصيغ رواقية ، وتخبرنا ان اريستيدس نال معرفة عن خالق وضابط الكون من خلال تأملاته فى العالم وما رأه فيه من هارمونية وتوافق بين عناصره .

ويقسم الكاتب البشر الى اربعة فئات بحسب ديانة كل منهم : البرابرة ، اليونانيون ، اليهود ، المسيحيون .

البرابـرة : عبدوا عناصر الكون الاربعة ، لكن السماء والارض والماء والنار والرياح والشمس والقمر ، بل والانسان نفسه ، هى كلها خليقة الله .

اليونانيون : عبدوا الهة متعددة ، اثبتت خلال الضعفات والشر والفساد المنسوب اليها انها ليست الهة حقيقية .

اليهـود : يستحقون الاحترام بسبب فهمهم النقى للطبيعة الالهية ، وايضاً بسبب سلوكياتهم الاخلاقية العالية ، الا انهم وقروا الملائكة اكثر من الله ، واهتموا بالعبادات الشكلية مثل الختان والصوم ، وحفظ ايام الاعياد ، اكثر من اهتمامهم بالعبادة الحقيقية التى بالروح والحق .

المسيحيون : هم وحدهم لديهم فكرة صحيحة عن الله «هم فوق كل شعوب العالم ، وجدوا الحق ، لأنهم يعترفون بالله

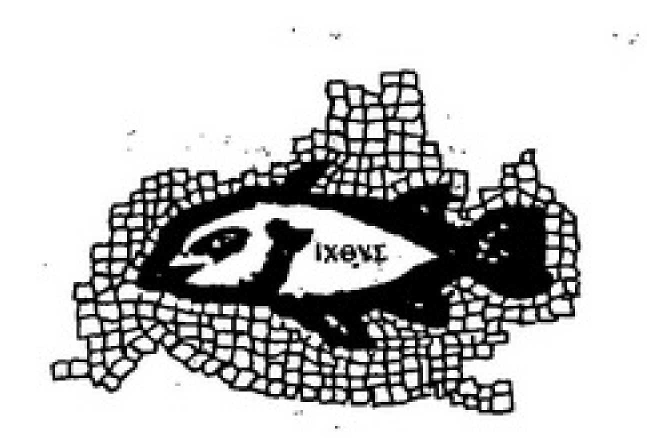
خالق وصانع كل الاشياء فى الابن الوحيد الجنس وفى الروح القدس ، ولا يعبدون آخر معه» (٣) .

ويقدم اريستيدس الدليل على ان المسيحيين يعبدون الهاً واحداً من نقاوة سيرتهم وطهارتها التى يمتدحها جداً :

«عندهم وصايا الرب يسوع المسيح نفسه محفورة فى قلوبهم ، وهم يحفظونها منتظرين قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى ، وهم لا يزنون ولا ينافقون ، ولا يشهدون شهادة زور ولا يشتهون ما لغيرهم ، يكرمون الوالدين ويحبون القريب ، ويحكمون بالحق ، ولا يفعلون بالغير ما لا يريدون أن يفعل الغير بهم ، يعزون الذين يسيئون اليهم ويصادقونهم ، يتوقون لعمل الخير مع أعدائهم ، وهم ودعاء لطفاء ويمتنعون عن كل علاقة غير شرعية ، وعن كل اثم وشر ، ولا يحتقرون الأرملة ولا يظلمون اليتيم ، ومن عنده يعطى من ليس عنده بسرور ، وإذا رأوا غريباً آووه فى بيوتهم وفرحوا به كأنه أخ لهم ، ويدعون أنفسهم أخوة لا بالجسد بل بالروح ، وهم على استعداد لتقديم حياتهم لأجل المسيح ، يحفظون الوصايا بدون زيغ ، ويعيشون

بالتقوى والطهارة كما أوصاهم الرب الههم ، وهم يشكرونه فى كل ساعة على المأكل والمشرب وعلى عطاياه الأخرى ..... اذاً هذا هو طريق الحق الذى يقود من يسلك فيه الى الملكوت الابدى الذى وعد به المسيح فى حياة الدهر الآتى» . (٤)

وبثقة مسيحية ، يرى اريستيدس فى قطيع المؤمنين الصغير ، شعباً جديداً وجنساً جديداً ، سيُخرج العالم من الفساد الذى غرق فيه : «كل الأمم الأخرى تضل وتخدع نفسها ، وتسلك سبل الظلام مترنحة كالسكارى (٥) ، وأنا لا أتردد فى أن أقول ان العالم لا يستمر فى الوجود الا بسبب صلوات وتضرعات المسيحيين» .



٤ - ارسطو البلاوى

Aristo of Pella

كان ارسطو البلاوى أول من دافع عن المسيحية فى دفاع مكتوب ضد اليهودية ، وهو يهودى متنصر من بلا *Pella* (خربة فحل الحالية قرب بيان بفلسطين) وعاش فى النصف الاول من القرن الثانى ، ونشأ وتلقى علومه فى الاسكندرية ، وكتب دفاعه ضد اليهودية بعنوان

"حوار جاسون وبابيسكوس عن المسيح"

"Discusion between Jason and Papiscus Concerning Christ"

وقد فُقد هذا الدفاع ، وجاسون هذا هو يهودى مسيحى ، أما بابيسكوس فهو يهودى سكندرى ، ويخبرنا أوريجانوس أن الفيلسوف الوثنى كلسوس قد هاجم هذا العمل فى كتابه "الحديث الصادق" لأن أرسطو يُظهر فيه ميلاً ونزوعاً الى التفسير الرمزى للعهد القديم ، ويدافع أوريجانوس عن عمل ارسطو هذا ،

ويشرح أن هذا العمل كان المقصود به أن يخاطب الجميع ، لذا يجب أن يُظهر اى شخص أحادى التفكير *one - minded* رأياً مقاوماً لهذا العمل ، وفى حوار العلامة أوريجانوس مع كلسس [١] ، يصف أوريجين هذا الدفاع بقوله ان هذا الدفاع يُعلم «كيف يتناقش مسيحى معضد بالكتابات اليهودية (أى العهد القديم) مع يهودى ، ويثبت ان النبوات الخاصة بالمسيح قد وجدت تحقيقها فى يسوع ، بينما خصمه ، بجرأة ومهارة ، يلعب دور اليهودى فى المناقشة» .

وتنتهى المناقشة باعتراف بابيسكوس اليهودى بأن المسيح يسوع هو إبن الله ويطلب أن ينال نعمة المعمودية .

ولابد ان ارسطو كتب هذا نحو عام ١٤٠ ، ومن إتباع ارسطو للمنهج الرمزى فى التفسير ، ومن حقيقة أن بابيسكوس كان سكندرى ، نستنتج ان الاسكندرية هى مكان الكتابة .

✝ ✝ ✝

٥ - تاتيان السريانى

Tatian the Syrian

كان تاتيان ـ السريانى بحسب المولد ـ إبناً لأسرة وثنية ، وتلميذاً ليوستين الشهيد ، ومثل معلمه ، بعد أن جال كثيراً ، اكتشف ان العقيدة المسيحية هى الفلسفة الحقيقية الوحيدة ، ويخبرنا عن سبب قبوله الايمان المسيحى ، ذلك انه بعد ان رأى اعمال الوثنيين ، وبعد أن درس طقوسهم وعباداتهم ووجد آلهتهم تُسر بالذبائح البشرية الدموية ، وان اعمالهم ليست إلا أعمال الشيطان ، سعى كى يعرف الحقيقة ، وبينما كان يولى هذا الأمر عظيم اهتمامه ، قرأ بعض الكتابات المسيحية القديمة جداً ، ووجدها أقدم من أن تُقارن مع آراء اليونانيين ، واقدس من ان تُقارن مع اخطائهم ، فآمن بها بسبب صراحة لغتها ، ووضوح شخصية كاتبها الصادقة ، والمعرفة المسبقة بالاحداث المستقبلية ، والمبادئ الرائعة السامية التى فيها ، وقولها ان هناك كيان واحد

فقط يحكم الكون كله ، فاكتشفت نفسه ، التى تعلمت من قبل الله ، ان كتابات اليونانيين تقود الانسان للدينونة ، بينما هذه الكتابات الالهية وضعت نهاية للعبودية التى فى العالم [1] .

ويبدو ان تاتيان قبل الايمان المسيحى فى روما ، وهناك كان يتردد على مدرسة يوستين ، ورغم ان القديس يوستين كان معلم واستاذ تاتيان ، إلا اننا نلاحظ تناقضات حادة بينهما حالما نقارن كتاباتهما ، ويتضح هذا الاختلاف بصفة خاصة فى رؤية كل منهما للفلسفة الغير مسيحية وللحضارة والثقافة ، فبينما يحاول يوستين ان يجد على الاقل بعض عناصر من الحق فى كتابات بعض المفكرين اليونان ، يعلم تاتيان بالرفض التام للفلسفة اليونانية بجملتها ، وبينما احترم يوستين فى دفاعه عن المسيحية ، الفلسفة الغير مسيحية ، نجد تاتيان يرفض بشدة كل ما ينتمى الى الحضارة اليونانية أو الفن أو العلوم أو اللغة .

وفى سنة ١٧٢ عاد تاتيان الى الشرق حيث اسس جماعة الانكراتيين *Encratites* أى المتقشفون *The Abstinents* والتى تنتمى الى جماعة الغنوصيين المسيحيين ، وهذه البدعة رفضت

الزواج على اعتبار انه زنا ، وادانت استعمال اللحم بأى شكل ، وشرب الخمر ، بل انهم استبدلوا الخمر بالماء فى سر الافخارستيا ، لذلك دُعى اتباع هذه البدعة باسم "المائيون *Aquarii*" ، ولا نعرف اى شئ عن نياح تاتيان .

كتابات تاتيان

العملان الوحيدان الموجودان لتاتيان هما :

١ - الخطبة الى اليونانيين .

٢ - من الاربعة .

ا - الخطبة الى اليونانيين

The Discourse to the Greeks

كُتبت فى الغالب بعد استشهاد القديس يوستين ، ولكن يبدو أنها كُتبت خارج روما ، ويعتقد بعض الدارسين ان هذه الخطبة ليست مجرد دفاع عن المسيحية أو شرح لاسباب قبول الكاتب للايمان المسيحى ، بل تتضمن دعوة للالتحاق بمدرسة تاتيان ، لكن حتى لو كانت قد أُلقيت كعظة فى افتتاح المدرسة ، فليس هناك شك فى ان تاتيان كان يعتزم من البداية ان يخاطب

الجماهير عامة .

وهى حقاً ليست دفاع عن المسيحية بقدر ما هى هجوم على الحضارة اليونانية كلها ، اذ يرى تاتيان ان الفلسفة والديانة وكل الانجازات اليونانية ، هى حمقاء ، خادعة ، لا اخلاقية ، ولا قيمة لها ، وفى البداية ، يقرر تاتيان ان كل الاشياء التى تبدو ذات قيمة فى الحضارة اليونانية ، هى مستعارة من غير اليونانيين ، إلا ان الجانب الاعظم من عناصر حضارتهم عديم القيمة ، أو يدفع الى الفساد الاخلاقى ، مثلما يفعل شعرهم وبلاغتهم وفلسفتهم .

الجزء الاساسى من هذا العمل ينقسم الى اربعة اقسام :

١ - القسم الأول : (فصول ٤ - ٣ - ٧) ويقدم فيه تاتيان رؤية مسيحية للكون (كوزمولوچية مسيحية *A Christian Cosmology*) .

١) يشرح الكاتب مفهوم المسيحية عن الله (فصول ٤) .

٢) ثم يشرح علاقة اللوغوس بالآب ، وتكوين المادة ، وخلقة

العالم (فصل ٥) .

٣) ثم يقدم وصفاً لخلقة الانسان ، وللقيامة ، وللدينونة الاخيرة (فصل ٦) .

٤) فى نهاية هذا القسم (٧) يتحدث تاتيان عن خلقة الملائكة ، حرية الارادة ، سقوط الملائكة ، خطية آدم وحواء ، الملائكة الاشرار والشياطين ، وهذا الموضوع يقود الى القسم الثانى .

٢ - القسم الثانى : (فصول ٨-٢٠) ويقدم فيه تاتيان رؤية مسيحية للشياطين *A Christian Demonology* .

١) التنجيم من اختراع الشياطين ، وإذ اساء الانسان استخدام حرية ارادته ، صار عبداً للشياطين ، إلا انه يستطيع ان يحرر نفسه من هذه العبودية بالرفض التام لكل امور هذا العالم واباطيله (فصول ٨-١١) .

٢) كى نستطيع ان نرفض امور هذا العالم فنهرب من سطوة الشياطين ، يجب ان نسعى ونجاهد لنوحد نفوسنا ثانية مع الروح *pneuma* ، الروح السماوى ، فهذا الروح كان يحيا

اساساً فى قلب الانسان ، إلا ان الخطية الاولى التى هى عمل الشياطين طردته خارجاً (فصول ١٢-١٥) .

٣) الشياطين هى صور للمادة وللشر ، وهى لا تستطيع التوبة ، أما الانسان فهو صورة الله ولذا يستطيع ان يرث الحياة الابدية عن طريق انكار الذات والكفر بها *Self - mortification* (فصول ١٥-١٦) .

٤) يجب ان لا يخاف الانسان من الموت لانه مُجبر على ترك كل الاشياء لكى يربح الابدية (١٦-٢٠) .

٣ - القسم الثالث : (فصول ٢١-٣٠) يقدم فيه تاتيان رؤية مسيحية للحياة اليونانية .

١) حماقة اللاهوت اليونانى بجملته تمثل تناقض عظيم مع سمو وعظمة سر التجسد الالهى (فصل ٢١) .

٢) المسارح اليونانية هى مدارس للرذيلة ، المجتلد يشبه المذبح ، والرقص والموسيقى والشعر هى كلها خاطئة وعديمة القيمة (فصول ٢٢-٢٤) .

٣) الفلسفة والقانون اليونانى متناقضان ومخادعان (فصول ٢٥-٢٨) .

٤) امام هذا الظلام القاتم الذى للحضارة اليونانية ، يزداد اشراق وبهاء العقيدة المسيحية وتفوقها (فصول ٢٩-٣٠) .

٤ - القسم الرابع : (فصول ٣١ : ٤١) يتحدث فيه تاتيان عن عصره والقيمة الاخلاقية للمسيحية .

١) الديانة المسيحية اقدم من كل الديانات الاخرى لان موسى عاش قبل هوميروس ، وقبل كل المشرعين اليونانيين .

٢) الفلسفة المسيحية والسلوك المسيحى فى الحياة هما خاليان من اى شر او اى نية رديئة ، ولذا يختلفان عن حكمة الكتاب اليونانيين ، اما الاتهامات الكاذبة التى توجه الى المسيحيين مثل اتهامهم بالفسق وأكل لحوم البشر ، فهى انما تنطبق على قائليها الذين يوقرون ويكرمون الالهة اليونانية ، لان مثل هذه الجرائم كثيرة ومعروفة جيداً فى عبادات اليونانيين ، أما نقاوة وطهارة المسيحيين واخلاقهم فلا يمكن ان تتدنس بمثل هذه الافتراءات .

وفى ختام الخطبة ، يعلن تاتيان استعداده للاستماع الى اى نقد فيقول : «هذه الاشياء ، ايها اليونانيون ، كتبتها لكم أنا

تاتيان تلميذ الفلسفة الغير يونانية ، لقد وُلدت فى ارض الاشورين *Assyrians* ، وتعلمت عقائدهم أولاً ، ثم بعد ذلك تعلمت العقائد التى اخذت على نفسى الان أن أعلنها ، ومن الآن فصاعداً ، بعد أن عرفت من هو الله وما هو عمله ، اتقدم اليكم مستعداً لمجاوبة كلٌ من يسألنى عن عقائدى ، متمسكاً بثبات بتلك الحياة التى بحسب الله» (٢) .

٢ - من الأربعة أناجيل *The Diatessaron*

Τὸ Διὰ Τεσσάρων Εὐαγγέλιον

وهو عبارة عن توافق للاناجيل وسماه تاتيان "من أربعة *out of four*" لانه يشتمل على أجزاء من الاناجيل الاربعة دامجاً اياها فى قصة انجيلية واحدة متسلسلة فى هارمونية ، وظل هذا الكتاب لزمن طويل يُستخدم رسمياً فى ليتورچيا الكنيسة السريانية ، ولم يُستبدل بالاناجيل الاربعة القانونية إلا فى القرن الخامس ، وفى الغالب ، صنفه تاتيان بعد عودته من الشرق ، وقد فُقد اصل هذا العمل الذي يعتقد الدارسون ان تاتيان كتبه باليونانية ثم ترجمه بعد ذلك الى السريانية ،

ومؤخراً اكتشف بعض علماء الاثار الامريكيين سنة ١٩٣٤ شذرة صغيرة من النص اليونانى وهى تتكون من اربعة سطور ، ومن الواضح انها كُتبت قبل سنة ٢٥٤ ، ووجود شذرة قديمة جداً هكذا يؤيد الاحتمالات القائلة ان تاتيان كتب العمل اصلاً باليونانية .

ومن الترجمات التى وصلتنا للنص مثل العربية واللاتينية ، يمكننا ان نعيد تجميع النص بالكامل ، وفيما بين عامى ٣٦٠ و٣٧٠م كتب مار افرام السريانى تفسيراً وشرحاً لـ "من الاربعة اناجيل" ، ومع ان نص هذا التفسير السريانى قد فُقد إلا أن لدينا ترجمة ارمنية له ترقى الى القرن السادس ، وكل هذه الترجمات لكتاب "من الاربعة اناجيل" توضح انه كان ذا تأثير كبير فى الكنيسة الجامعة ، فالترجمة اللاتينية ـ على سبيل المثال ـ ترقى الى تاريخ مبكر جداً ، وتمثل اول محاولة لترجمة الانجيل المقدس الى اللغة اللاتينية .

وقد فُقدت كتابات تاتيان الاخرى ، والتى يذكر هو نفسه اسماء ثلاثة منها وذلك فى دفاعه وهم :

أ - الفصل ١٥ من الدفاع يفترض ان تاتيان قد كتب قبلا "عن

الحيوانات "Περὶ ϑῴων" .

ب - فى الفصل ١٦ يذكر تاتيان انه كتب عملا "عن الشياطين" .

ج - فى الفصل ١٤ يشير الى انه مزمع ان يكتب "ضد هؤلاء الذين تكلموا عن الأمور الالهية *Against Those Who Have Treated of Divine Things*" .

ويستشهد كلمنضس السكندرى فى كتابه "المتفرقات" (٣) بصفحة من عمل لتاتيان اسمه "الكمال بحسب تعاليم المخلص *On Perfection According to the Precepts of the Saviour*" ، ويذكر رودون *Rodon* * أن معلمه تاتيان «أعد كتاباً عن "المعضلات *On Problems*" ووعد ان يفسر فيه الاجزاء الغامضة فى الاسفار المقدسة» .

بالاضافة الى ذلك يقرر يوسابيوس ان تاتيان «تجاسر على تحليل بعض كلمات للرسول (بولس) لتحسين اسلوبها» (٤) .

(*) آخر مديرى مدرسة الاسكندرية اللاهوتية فى حكم الامبراطور ثيودوسيوس الكبير .

٦ - ميلتيادس

Miltiades

وُلد ميلتيادس البليغ *Rhetorician* فى آسيا الصغرى ، وكمعاصر لتاتيان ، كان فى الغالب تلميذاً ليوستين الشهيد ، وللاسف فُقدت كتاباته جميعها ، إلا أن ترتليان (١) وهيبوليتس (٢) يذكران انه دافع عن المسيحية ضد الوثنيين ، وايضاً ضد الهراطقة ، وبحسب يوسابيوس المؤرخ (٣) ، كتب ميلتيادس "دفاع عن الفلسفة المسيحية *Apology for Christian Philosophy*" موجه الى "الحكام الحاليين" ، وهؤلاء "الحكام" هم فى الغالب الامبراطور مرقس اوريليوس *Marcus Aurelius* (١٦١-١٨٠) ولوسيوس فُرس *Lucius Verus* (١٦١-١٦٩) ، وايضاً عمله "ضد اليونانيين Against the *Greeks*" له نفس السمة الدفاعية ، ويقع فى كتابين ، وله عمله "ضد اليهود *Against the Jews*" ويقع ايضاً فى كتابين ، كما كتب ضد المونتانية شارحاً ان الانبياء المونتانيين هم انبياء كذبة ، كما كتب عملاً آخر ضد الغنوصيين الفالنتينيين الهراطقة .

٧ - أبوليناريس أسقف هيرابوليس

Apollinaris of Hierapolis

كان كلوديوس أبوليناريس *Claudius Apollinaris* اسقفاً لمدينة هيرابوليس* *Hierapolis* ، اثناء حكم الامبراطور مرقس اوريليوس وقد مدحه معاصروه بسبب سمو معرفته وفضائله ، ويذكر عنه يوسابيوس القيصرى فى تاريخه الكنسى (١) :

«لقد احتفظ الكثير بعدد وفير من كتابات ابوليناريس ، وهاك ما وصل الينا منها :

- الحديث الموجه الى الامبراطور السالف الذكر (أى مرقس اوريليوس) .
- خمسة كتب "ضد اليونانيين Πρὸσ Ἕλληνασ "Against the Greeks .

* هيرابوليس (فريجية) هى مقاطعة رومانية بآسيا الصغرى وهي التى اجتازها القديس بولس الرسول فى (اع ١٦ : ٦) وكان فى يوم الخمسين يهود منها (اع ٢ : ١٠) .

- كتابان "عن الحق Περὶ Ἀληθείασ "On the Truth .
- كتابان "ضد اليهود Πρὸσ Ἰουδίαονσ "Against the Jews .
- وبعد ذلك كتب الكتب التى وضعها ضد هرطقة اهل فريجية (المونتانيين) التى لم يكن قد مضى وقت طويل على ابتداعها وكانت فى ذلك الحين فى بداية انتشارها ، لان مونتانوس (*) *Montanus* ، مع نبياته الكاذبات ، كان يضع وقتئذ اساس هرطقته» .

وللاسف فُقدت هذه الكتابات التى ذكرها يوسابيوس ، كما فُقد ايضاً كتاب آخر لابوليناريس لم يذكره يوسابيوس وهو بعنوان "عن الفصح Περὶ Τοῦ Πάσχα - *On Easter* .

(*) ادعى مونتانوس انه الباراقليط الموعود به فى الانجيل ، وبدأ يتنبأ كذباً من الشيطان فصدقه أهل فريجية وضلوا وراءه ، اما نبياته الكاذبات فالمقصود بهن بريسكلا ومكسميلا وهما زوجتان تركتا زوجاهما وتتلمذتا لمونتانوس وبدأتا تهذيان بما سمياه نبوات ، وفى النهاية اذ صدقتا اكاذيب انفسهن اعتراهما روح جنون فشنقتا نفسيهما .

٨ - اثيناغوراس الاثينى

Athenagoras of Athens

هو رجل اثينى ، اقام بمدينة الاسكندرية وكان يشغل وظيفة هامة فى متحفها ، وكان من اساطين الديانة الوثنية ، ومن انصار الفلسفة الافلاطونية المحدثة ، حيث كان يدير بالاسكندرية مدرسة وثنية تنهج نهج الافلاطونية المحدثة .

كان كغيره من الافلاطونيين يكره الديانة المسيحية ويعمل على مقاومتها ، حتى انه توفر على دراسة الكتاب المقدس لعله يجد فيه منفذاً للطعن والنقد ، لكنه ما كاد ينتهى من قراءته حتى ترك فيه اثراً عميقاً جاذباً اياه للايمان نحو عام ١٧٦ م ، وصار من انصار المسيحية ومن اكبر المدافعين عنها ولذا لقب بـ "اثيناغوراس المدافع" .

ولما وثق به المسيحيون قبلوه وعمدوه ، وعهدوا اليه بمهمة التعليم فى مدرسة الاسكندرية اللاهوتية ، وظل مع ذلك يرتدى

زى الفلاسفة كما كان من قبل .

ومع ان اثيناغوراس كان معاصراً لتاتيان ، إلا انه يختلف عنه كما عن يوستين ، فرأيه فى الفلسفة والثقافة والحضارة اليونانية اكثر حنواً من تاتيان ، كما لم يحمل مشاعر يوستين الرافضة للفلسفة ، بل استخدم عبارات تكشف عن حكمة اليونانيين مبرهناً فى النهاية على تناقضها مع بعضها البعض ، واثيناغوراس فى لغته وترتيب مادته الفكرية يظهر مقدرة اعظم من القديس يوستين ، وهو بلا جدال اعظم المدافعين المسيحيين بلاغة وبيان ، ويحب الاستشهادات المأخوذة من الشعراء والفلاسفة ، ويستخدم العبارات والتعبيرات الفلسفية ، واسلوبه وبيانه يدلان على انه تعلم فى احدى مدارس البلاغة .

لم يُذكر اثيناغوراس فى الادب المسيحى القديم إلا مرة واحدة ، وذلك فى كتاب القديس ميثوديوس الاوليمبى * عن القيامة [1] ، اذ اغفله المؤرخون الاولون امثال يوسابيوس

---

* انظر كتابنا "القديس ميثوديوس الاوليمبى" فى هذه السلسلة .

وچيروم ، ويرى *Th. Zahn* انه هو عينه اثيناغوراس الذى اهدى اليه الفيلسوف الافلاطونى بويتوس *Boethos* كتابه "عن التعبيرات الصعبة فى افلاطون *On Difficult Expession in Plato*" كما يذكر فوتيوس المؤرخ [٢] .

كتابات اثيناغوراس

١ - الالتماس (دفاع) من اجل المسيحيين

The Supplication for the Christians

كُتب "الالتماس من اجل المسيحيين Πρεσβεία Περὶ Τῶν Χριστιανῶν" نحو عام ١٧٧م ، وهو موجه الى الامبراطور مرقس اوريليوس وابنه كومودوس ليسيوس اوريليوس *Lucius Aurielus Commodus* الذى مُنح اللقب الامبراطورى عام ١٧٦ م ، وقد كتب اثيناغوراس التماسه هذا بأسلوب هادىء حسن الترتيب ، وفى مقدمته [٣] ، يذكر هدف هذا الالتماس بوضوح فيقول :

«ستعلم من هذه المقالة اننا نتألم ظلماً يتنافى مع كل قانون

وكل عقل ، وهذا يتطلب من الحكام ان يبطلوا بالقانون هذه المعاملة المزرية» .

ثم يفند اثيناغوراس [٤] الاتهامات الثلاثة التى وجهها الوثنيون الى المسيحيين وهى :

١ - الالحاد ʼΑθεότησ

٢ - المعاشرات الاوديبية Οἰδί Ὀδειοι Μιξεισ

٣ - ولائم ثيستن (اكل لحوم البشر) Θυέστεια Δείπνα

ونلخص ردود اثيناغوراس كالآتى :

١ - المسيحيون ليسوا ملاحدة ، فرغم انهم لا يؤمنون بالآلهة المتعددة ، إلا انهم يؤمنون بالله ، فقد أعطوا استعلاناً وتعاليماً الهية من الانبياء الذين اوحى اليهم بالروح القدس ، وبالاضافة لذلك ، لديهم ادلة عقلية على ايمانهم ، والمفهوم المسيحى عن الله هو انقى واوضح من مفاهيم الفلاسفة عنه ، وهذه حقيقة يثبتها المسيحيون ليس بالكلمات فقط بل بالاعمال ايضاً : «من منهم (أى من الفلاسفة الوثنيين) طهروا انفسهم حتى يحبوا اعداءهم بدلاً من ان يكرهونهم ، ان يباركوا لاعنيهم بدلاً من ان يتكلموا

عنهم بالشر ، ان يصلوا من اجل الذين يسيئون اليهم ؟ اما بيننا فستجد اشخاصاً غير متعلمين ، صناعاً ونساء وعجائز ، الذين وان لم يستطيعوا ان يشرحوا بالكلمات ويثبتوا صحة عقيدتنا ، إلا انهم باعمالهم يظهرون ثمرة اقتنائهم لحق هذه العقائد » (٥) .

ولنفس السبب ـ أى إيمانهم باله واحد ـ هم لا يعبدون الهة متعددة ، ولذلك ليس لديهم ذبائح مثل الوثنيين ، ولا يعبدون العالم الذى هو قطعة فنية اجمل من أى صنم ، لكنهم يوقرون خالق العالم .

والمسيحيون يعبدون الهاً يختلف فى صفاته عن الهة الوثنيين ، فهو روح سرمدى بسيط متميز عن المادة ، وهو الخالق الواجب الوجود وهو وحده المسيطر على الكون ، ولكن المسيحيين يعرفون فى هذا الاله الواحد انه آب وابن وروح قدس ، وهم "واحد فى الجوهر" ، فالمسيحيون مؤمنون بالله وليسوا ملاحدة ولا يقدمون ذبائح دموية لان الههم لا يطلب إلا ذبيحة القلب والطهارة والبر (لم يشر اثيناغوراس الى ذبيحة الافخارستيا كما فعل القديس يوستين) ، وان كان المسيحيون لا

يعبدون الالهة الوطنية ، فذلك لانها مخلوقة ولانها ليست فى الحقيقة الهة بل كانوا بشراً رُفعوا الى مرتبة الالوهية كما يعترف بذلك شعراء الوثنيين وفلاسفتهم وكهنتهم ومؤرخوهم .

٢ - المسيحيون لا يأكلون لحوم البشر لان ذلك يقتضى القتل ، ولكن المسيحيين لا يمتنعون عن القتل فقط ، بل يحولون انظارهم عن رؤية أى جريمة قتل ، على عكس الوثنيين الذين يجدون فى ذلك متعة خاصة كما تشهد المجتلدات بذلك ، كما ان المسيحيين يحترمون الحياة الانسانية اكثر من الوثنيين ، ثم كيف يفعل المسيحيون ذلك وهم يحرمون الاجهاض وتعريض الاطفال لخطر الموت وقتل الاولاد والعاب المصارعة ، وهى امور يرتكبها الوثنيون ، اما المسيحيون فيعتبرونها انواعاً من القتل ويعتبرونها قسوة ووحشية .

كذلك عقيدة المسيحيين فى قيامة الاجساد تتنافى مع هذا الاتهام لانه كيف يستطيع مسيحى يؤمن بقيامة الاجساد ان يرتضى لنفسه ان يكون قبراً لجسم آخر لابد ان يقوم ثانية ؟ ان هذا الاتهام يصدق على قوم ينكرون القيامة ولا يصدق على

المسيحيين الذين يؤمنون بحقيقة القيامة والدينونة والحياة الابدية .

٣ - اما اتهام المسيحيين بالمعاشرات الاوديبية فأجاب عنه اثيناغوراس بأن المسيحيين يؤمنون ان الله رقيب على افكارهم وحركات قلوبهم وانهم سيُدانون على كل فكر شرير ، ويمنعون انفسهم حتى من النظرة الشريرة ، فكم بالاحرى جداً يعفون عن اعمال النجاسة ؟

والمسيحيون يزدرون بالحياة الحاضرة والبعض منهم يحيا فى حياة طهارة كاملة متبتلاً لله ، والبعض الآخر تزوج لكن بقصد الانجاب فقط ، وهم يعتبرون الزواج الثانى نوعاً من الزنا المستتر ، فليس عند المسيحيين أى إختلاط اوديبى ، بل ان ذاك الاتهام يصدق حقاً على الوثنيين والهتهم امثال الاله زيوس الذى روى عنه الوثنيون انه انجب اولاداً من امه ومن ابنته ، وتزوج بأخته .

وفى خاتمة الدفاع [٦] يلتمس اثيناغوراس من الاباطرة مراعاة العدالة فى حكمهم على المسيحيين :

«والآن بعد ان فندت الاتهامات العديدة واثبتُ اننا اتقياء لطفاء وقامعين انفسنا ، اشيروا لنا برأسكم موافقين ، لانه من ذا الذى يستحق ان يُجاب الى طلبه مثلنا نحن الذين نصلى لاجل مُلككم كى يُصان المُلك فى العائلة فيتولاه الابن عن الاب ـ وهو امر جد مشروع ـ وكى تنمو المملكة وتزدهر ، ويخضع جميع الناس لسلطانكم وسيادتكم ؟» .

٢ - عن قيامة الموتى Περὶ Ἀναστάσεωσ Νεκρῶν

On The Resurrection of The Dead

فى نهاية دفاعه (الفصل ٣٦) يعلن اثيناغوراس انه سيتحدث فيما بعد عن القيامة ، وقد وصلنا عمله هذا بعنوان "عن قيامة الموتى" ، وفى مخطوطة ارثاس *Arthas Codex* والتى ترقى لعام ١٩١٤ م ، يُذكر ان اثيناغوراس هو كاتب هذا العمل ، ويأتى ترتيبه بعد الدفاع مباشرة ، وتسود فى الكتاب

سمة وطابع فلسفى اذ يثبت عقيدة القيامة من العقل ببراهين فلسفية ، ويكشف لنا عن عمق فى الادراك ومهارة فى التفكير ، وهو ينقسم الى قسمين :

القسم الاول : (فصول ١ - ١٠) يتحدث عن الله والقيامة ، ويظهر ان حكمة الله وقدرته الكلية وعدله لا تتعارض مع القيامة ، بل ان هذه الصفات الالهية تتوافق مع عقيدة القيامة ، موضحاً ان اعتراضات الفلاسفة على القيامة تقوم اما بسبب نقص معرفة الله او قدرته او مشيئته فى القيامة ، فمن جهة المعرفة ، الله الذى يخلق الاجساد يعرف كيف يقيمها ، ومن جهة القدرة ، ألا يقدر الذى يخلق الأجساد من العدم ان يعيد تكوينها حتى ان تحللت او تناثرت او اندمجت عناصرها فى الارض او فى النبات او الحيوان او فى الانسان ، اما من جهة المشيئة فإن الله لا يشاء القيامة متى كان سيلحق بالقائم من الاموات ظلم او متى كان فى القيامة ما يشين الله ، لكن القائم من الاموات لا يلحقه أى ظلم وليس فى القيامة ما يشين الله .

القسم الثانى : (فصول ١١ - ٢٥) يتحدث عن الانسان

والقيامة ، فالقيامة ضرورية بحسب الطبيعة البشرية :

١ - لان الانسان خُلق ليرث الابدية (فصول ١٢ - ١٣) .

٢ - لان الانسان يتكون من جسد ونفس ، وهذه الوحدة التى يُنهيها الموت لابد ان تُستعاد بالقيامة ليحيا الانسان الى الابد (فصول ١٤ - ١٧) .

٣ - لانه من غير العدل ان تُعاقب النفس وحدها على ما صنعته بالاشتراك مع الجسد ، وأيضاً من غير العدل أن يُكافأ الجسد وحده على الأعمال الصالحة والتى تمها فى حقيقة الأمر مع النفس (فصول ١٨ - ٢٣) .

٤ - خُلق الانسان من اجل السرور الابدى والذى لا يمكن ان يتحقق هنا على الارض ، بل فى حياة اخرى (فصول ٢٤ - ٢٥) .

لاهوت اثيناغوراس

١ - كان اثيناغوراس اول من حاول ان يبرهن على وحدانية الله بطريقة علمية منهجية ، وذلك عن طريق دراسة العلاقة بين الله والمكان :

«اذن يمكن على هذا الاساس ان نعرفكم بالادلة والحجج التى يستند اليها ايماننا فى ان هناك إلهاً واحداً منذ الأزل ، هو الذى ابدع الكون .... لو كان هناك منذ البدء الهان او اكثر ، فانهم اما ان يكونوا جميعاً فى مكان واحد ، واما ان يكون كل واحد منهم فى مكان خاص به على انفراد ، لكنهم لا يمكن ان يوجدوا جميعاً فى مكان واحد لانهم اذا كانوا الهة فلن يكونوا متشابهين ، ولانهم غير مخلوقين لذا يختلف كل منهم عن الآخر ، اذ ان الاشياء المخلوقة هى التى تشابه نماذجها ، اما غير المخلوقة فلا تتشابه ، لانها لم تصدر عن شىء آخر ولم تُخلق على مثال أى احد .... وعلى العكس من ذلك ، إذا كان كل اله من هذه الالهة منفصلاً عن الاخر ، وكان الاله الذى خلق العالم موجوداً فوق جميع المخلوقات وحول الاشياء التى خلقها ، فأين يوجد الاله أو الالهة الاخرى ؟ لانه اذا كان العالم ـ وهو كروى ـ محصوراً فى دوائر الفلك ، وكان خالق العالم كائناً فوق الخلائق ، وهو يدبره بعنايته الالهية واهتمامه بهذه الخلائق ، فأين اذن موضع الاله الآخر او الالهة الاخرى ؟» . [٧]

واكد اثيناغوراس على ان الله ازلى ابدى ، غير منظور ، غير قابل للتأثر او الانفعال ، لا يمكن ادراكه ، غير محدود ، خالق الكون ، قادر على كل شىء ، كامل فى كل شىء .

٢ - في حديثه عن الله الواحد ، تحدث اثيناغوراس عن الثالوث القدوس المبارك كجوهر واحد ، فشرح بدقة وحدانية الثالوث وتمايزه ، وحذر من فهم "الاب والابن" بطريقة فلسفية ، ويقول عن الابن :«لكن اذا لاح لكم نظراً لذكائكم المفرط ان تسألوا عن ما هو المقصود بالابن ، فإننى اقرر فى ايجاز ان الابن هو من الاب ، لا من حيث انه اتى به الى الوجود ـ إذ منذ الازل الله الذى هو العقل Noûσ السرمدى ، فيه اللوغوس ، وهو منذ الازل كائن مع اللوغوس Λογικόσ ـ بل من حيث انه قد ظهر ليكون الصورة والقوة الفاعلة لجميع الاشياء ... وروح النبوة يؤيد اقوالنا اذ يقول "الرب قنانى اول طريقه من قبل اعماله منذ القدم" {أم ٨ : ٢٢} » . [٨]

٣ - اما عن الروح القدس فيقول المدافع الاثينى :

«نحن نؤكد ان الروح القدس نفسه والفاعل فى الانبياء انما ينبثق

من الله ، يصدر عنه ويرجع اليه كشعاع من الشمس» (٩)

٤ – قدم فكراً ثالوثياً يُعتبر متميزاً فى فترة ما قبل نيقية اذ يقول :

«من ذا الذى لا يندهش عندما يسمع اناساً يتكلمون عن الله الآب ، وعن الله الابن ، وعن الروح القدس ، ويعترفون بما لهم (للثالوث) من قوة فى الاتحاد وتمايز فى الترتيب ، ومع ذلك يُدعون ملحدين ؟» (١٠) .

ويشرح ان عمل المسيحيين الاساسى هو :«ان يروا ما هى وحدة الابن فى علاقته بالآب ، وما هى شركة الآب مع الابن ، وما هو الروح القدس ، وما هى وحدانية هؤلاء ، والتمايز بين المتحدين : الروح والابن والآب» (١١) .

٥ – وعن الملائكة يقول فى الفصل العاشر من دفاعه :«نحن نعترف ايضاً بجمهور الملائكة والخدام ، الذين ارسلهم الاله الذى صنع العالم وعين لهم اعمالهم العديدة» (١٢) .

٦ – ويشهد اثيناغوراس شهادة حسنة لعقيدة الوحى

الالهى فيقول :

«سلك الشعراء فى هذا الموضوع كما فى غيره سبيل الحدس والتخمين ، وقد اندفع كل منهم بنفسه ، محاولين ان يجدوا الحق وان يدركوه .... لكنهم لم يكونوا اهلاً بالتمام لادراك الحق ، اذ حسبوه من اللائق ان يتعلموا عن الله ، لا من الله نفسه بل كمن يتعلم من ذاته ، لهذا انتهى كل منهم الى رأى خاص فيما يتعلق بالله والمادة وشكلها والعالم ، اما من جهتنا نحن فلنا الانبياء شهود على صحة ما نؤمن به ، والانبياء هم اناس تكلموا عن الله وما يتعلق به مسوقين بروح الله ، وانتم انفسكم ـ اذ تفوقون جميع الناس فطنة وتقوى نحو الاله الحق ـ تسلمون معنا بأنه من المحال بالنسبة لنا ان لا نؤمن بالروح الذى من الله ، وهو الذى يحرك افواه الانبياء كما لو كانت آلات موسيقية ، وان لا نحذر من الاراء البشرية البحتة» (١٣) .

«اصوات الانبياء كتبت ما نحن بصدده ، ويخيل الىّ انكم انتم ايضاً بما لكم من حماس عظيم للمعرفة ... لا يمكن ان تجهلوا ما كتبه موسى او اشعياء وارميا وسائر الانبياء ، هؤلاء الذين

نطقوا بما اوحى اليهم ، فى غيبة عن الحس سمت بهم فوق عمليات العقل الطبيعية ، وذلك بفعل قوة الروح القدس الذى استخدمهم ونفخ فيهم كأنه لاعب ناى ينفخ فى نايه» [١٤] .

وقد اخذ اثيناغوراس هذا الفكر نقلاً عن فيلون الذى شبه النفس بقيثارة يضرب الرب على اوتارها حتى يستطيع صاحبها ان يحيا الحياة الفاضلة ، وقد انتقلت هذه الفكرة من اثيناغوراس الى ثيوفيلس الانطاكى [١٥] واكلمنضس السكندرى [١٦] .

٧ – يرى اثيناغوراس ان البتولية هى اعظم ثمار الحياة المسيحية :

«تجدون بيننا رجالاً ونساء كثيرين ، تقدموا فى ايامهم دون ان يتزوجوا كى يحيوا فى شركة اعمق مع الله» [١٧] .

٨ – اما عن الزواج ، فشرح اثيناغوراس انه لاجل انجاب الاولاد فقط ، ويرفض الزواج الثانى [١٨] .

٩ – سقط اثيناغوراس فى بعض الانحرافات اللاهوتية منها :

أ – دعى الشيطان أمير المادة ، اقامه الله عليها ليحكمها .

ب – اعتبر النفس ناقصة وغير كاملة ما لم تتحد بالجسد .

جـ – نسب سقوط الشياطين الى علاقات شهوانية مع بنات الناس ، وانهم انجبوا منهن جبابرة .

I

X

I X Θ Y Σ

Y

Σ

٩ - ثيؤفيلس الانطاكى

Theophilus of Antioch

بحسب يوسابيوس [١] ، كان ثيؤفيلس سادس اسقف لكرسى مدينة انطاكية فى سوريا ، ومن الواضح من كتاباته انه وُلد بالقرب من نهر الفرات من ابوين وثنيين وتثقف ثقافة هيلينية ، وقبل الايمان المسيحى فى شبابه ، بعد تفكير طويل ودراسة للاسفار المقدسة ويصف قبوله للايمان المسيحى بقوله :

«لاتكن شكاكاً بل آمن ، لانى انا نفسى اعتدت ان اشك فى ان هذه (أى قيامة الاموات) ستحدث ، اما الآن ، فبعد ان فكرت ملياً فى هذه الامور ، آمنتُ ، وفى الوقت عينه ، قرأت الاسفار المقدسة التى كتبها الانبياء القديسون الذين ـ بروح الله ـ سبقوا واخبروا عن الامور التى حدثت فعلاً تماماً كما حدثت ، وعن الامور التى تحدث الآن تماماً كما تحدث ، وعن الامور المستقبلية التى ستحدث كما اخبروا بها ، واذ اعترفت بالدليل الذى رأيته

فى الاحداث التى تحدث الآن تماماً كما قالت عنها النبوات ، لا اعود اشك بل اؤمن ، مطيعاً لله» [٢] .

كتابات ثيؤفيلس

من مجمل اعمال ثيؤفيلس لم يصلنا إلا ثلاثة فقط بعنوان "الى اوتوليكوم *Ad Autolycum*" ، ولابد انهم كُتبوا بعد عام ١٨٠ م بزمن وجيز ، لان الكتاب الثالث يحوى تأريخ زمنى لتاريخ العالم وينتهى بموت مرقس اوريليوس (١٧ مارس ١٨٠م) ، وفى هذه الكتب الثلاثة ، يدافع ثيؤفيلس عن المسيحية امام اتهامات صديقه الوثنى اوتوليكوم *Autolycum* .

الكتاب الاول : يتحدث فيه ثيؤفيلس عن جوهر الله الذى لا يُرى الا بعين النفس فيقول :

«لا يرى الله إلا هؤلاء الذين يُعطون امكانية رؤيته ، عندما تُفتح عيون نفوسهم ، لان الجميع لهم عيون ، لكن البعض عيونهم مغشية ولا تبصر ضوء الشمس ، بيد انه ليس معنى ان الاعمى لا يبصر ، ان ضوء الشمس لا يسطع ، لكن دع العميان

يلومون انفسهم ويلومون عيونهم .. يجب ان ينقى الانسان نفسه لتصير كالمرآة اللامعة ، فكما انه عندما يكون هناك صدأ على المرآة ، لا يُمكن ان يُرى وجه الانسان فيها ، كذلك ايضاً عندما يكون فى الانسان خطية ، لا يمكنه ان يرى الله» . [٣]

ويتناول الكتاب الاول ايضاً ، بجانب الحديث عن سخافات وحماقات الوثنية المنافية للعقل ، الاختلاف بين الكرامة المُعطاة للامبراطور وبين العبادة اللائقة بالله :

«سأكرم الامبراطور ، لكن لن اعبده ، بل سأصلى لاجله ، اما الله ، الاله الحى الحقيقى ، فإنى اعبده عالماً ان الامبراطور هو جبلته» . [٤]

وفى ختام الكتاب الاول ، يناقش اسقف انطاكية معنى وأهمية الاسم "مسيحى" والذى كان اوتوليكوم يسخر منه ، وبعد ان شرح عقيدته فى القيامة ، يختم الكتاب بقوله :

«حيث انك قلت "ارنى الهك" ، هذا هو الهى ، وانا انصحك ان تخافه وان تثق فيه » [٥] .

الكتاب الثانى : يقارن فيه ثيؤفيلس بين تعاليم الانبياء المُوحى اليهم بالروح القدس ، وبين حماقات الديانة الوثنية والاقوال المتناقضة التى ينادى بها الشعراء اليونانيون امثال هوميروس *Homer* وهسيود *Hesiod* عن الالهة واصل العالم ، ويشرح ثيؤفيلس وصف سفر التكوين لخلق العالم والانسان والفردوس والسقوط شرحاً دقيقاً مستخدماً منهج التفسير الرمزى ، وفى النهاية يستشهد ببعض تعاليم الانبياء عن كيفية اكرام وتوقير الله اكراماً لائقاً ، وعن الحياة البارة والسلوك بلا عيب .

الكتاب الثالث : يشرح سمو المسيحية من وجهة نظر اخلاقية ، ويفند كل افتراءات الوثنيين والاتهامات الاخلاقية الموجهة الى المسيحيين ، كما يتحدث عن الفساد الاخلاقى السائد فى الديانة الوثنية والواضح من الشر الذى ينسبه الشعراء والفلاسفة الوثنيون الى الهتهم ، واخيراً لكى يظهر ان العقيدة المسيحية اقدم من كل الديانات الاخرى ، يستشهد ثيؤفيلس بتاريخ العالم كى يثبت ان موسى والانبياء اقدم من كل الفلاسفة

كتابات مفقودة

بالاضافة الى كتبه الثلاثة "الى اوتوليكوم *Ad Autolycum*" ذكر يوسابيوس [٦] ان ثيؤفيلس كتب "ضد هرطقة هرموجينيس *Against the Heresy of Hermogenes*" وكتاب "ضد مركيون *Against Marcion*" و "بعض الكتب التعليمية الاخرى" ويذكر چيروم [٧] فى كتابه "مشاهير الرجال" ان ثيؤفيلس كتب "تفاسير للانجيل *Commentries on the Gospel*" وعن "امثال سليمان" وفى موضع آخر يتحدث چيروم [٨] عن عمل لثيؤفيلس عن توافق الاناجيل ، ويشير ثيؤفيلس عدة مرات الى عمل له باسم "عن التاريخ Περὶ Ἱστορίων" وقد كتبه قبل كتبه الثلاثة الى اوتوليكوم ، ومن كلماته يتضح لنا انه كان تاريخ للبشرية لانه يقول [٩] :

«الى هؤلاء الذين يرغبون فى ان يعرفوا عن كل الاجيال ، من السهل ان نشرح عن طريق الاسفار الالهية ، لان هذا الموضوع ـ كما ذكرنا فعلاً ـ والذى هو اصل الانسان ، قد عالجناه جزئياً فى مقالة اخرى فى الكتاب الاول من "التاريخ *The History*"»

وقد فُقدت كل كتابات ثيؤفيلس عدا كتبه الثلاثة الى اوتوليكوم ، وبُذلت محاولات لاعادة تجميعها ثانية ، إلا انه حتى الآن لم يُكتب لها النجاح .

ورغم ان ثيؤفيلس يقول عن نفسه انه «غير متعلم فى فن الخطابة» [١٠] إلا انه يتضح من كتابته انه ذو خبرة فى البلاغة ، ويكتب بأسلوب سهل غنى ملىء بالحياة والقوة ، وهو متمرس تماماً فى الاساليب والتراكيب البلاغية ، ومما يزيد من جاذبية عمله ، كثرة التشبيهات والاستعارات الدقيقة ، وهو دارس جيد للادب والفلسفة ، ورغم انه يأخذ بصفة عامة من نفس المصادر التى يأخذ منها المدافعون اليونانيون الآخرون ، إلا انه يستشهد بالعهد الجديد اكثر منهم جداً ، اذ رأى ان كتبة العهد الجديد هم اناس مُوحى اليهم بالروح القدس مثلهم مثل انبياء العهد القديم :

«الاقوال التى تؤكد ذلك موجودة فى الانبياء وفى الاناجيل لانهم جميعاً تكلموا مسوقين بروح الله الواحد» . [١١]

ويسبق استشهاداته من رسائل لسان العطر بولس الرسول

بقوله دوماً «الكلمة الالهيـة تعلمنا Διδάσκει Ἡμᾶσ Ὁ Θεῖοσ Λόγοσ» [١٢] ويصف القديس يوحنا الحبيب البتول بأنه "حامل الروح *Spirit-Bearing*" وبذا يكون ثيؤفيلس الانطاكى اول من علم بوضوح عن عقيدة الوحى الالهى للعهد الجديد ... كذلك كان اول من استخدم كلمة "ثالوث ـ ترياس Τριάσ" للتعبير عن وحدانية الاقانيم الالهية الثلاثة فى الله ، ورأى ان الايام الثلاثة السابقة لخلق الشمس والقمر هى رمز للثالوث :

«الايام الثلاثة التى سبقت المضيئين ، هى رموز لثالوث الله ، وكلمته ، وحكمته» . [١٣]



١٠ - ميليتو اسقف ساردس

Melito of Sardis

يُعد ميليتو اسقف ساردس (احدى مدن مقاطعة آسيا الرومانية وتُسمى حديثاً مدينة سارت) واحداً من اكثر شخصيات القرن الثانى وقاراً وهيبة ، وفى رسالة بوليكراتس *Polycrates* اسقف افسس الى البابا ڤيكتور بابا كنيسة روما ائنذاك ، يحصيه ضمن "الانوار العظيمة" التى فى اسيا والذين تنيحوا ، ويسميه «ميليتو الخصى الذى عاش كلية فى الروح القدس ورقد فى ساردس منتظراً الدعوة من السماء عندما سيقوم من الاموات» [١] وبجانب هذا لا نعرف الا القليل عن حياة ميليتو الذى كان كاتباً خصباً وافر الثمار فى موضوعات عدة فى النصف الثانى من القرن الثانى .

ونحو عام ١٧٠ م ، ارسل ميليتو دفاعاً عن المسيحيين الى الامبراطور مرقس اوريليوس ، لم تصلنا منه الا شذرات حفظها

يوسابيوس فى تاريخه الكنسى إذ كتب يقول عن ميليتو [٢] :

«ولكنه فى كتابه الموجه الى الامبراطور ذكر (أى ميليتو) ان الحوادث التالية حلت بنا فى عهده : "لأن ما لم يحدث قط من الاضطهاد من قبل يعانيه الآن جنس الاتقياء ، اذ طُردوا فى اسيا باوامر جديدة ، فالوشاة الوقحون ، والطامعون فى ممتلكات غيرهم ، انتهزوا فرصة هذه الاوامر ، وصاروا يسطون وينهبون ليلاً ونهاراً ويجردون الابرياء من ممتلكاتهم" .

وبعد ذلك بقليل يقول(أى ميليتو) "ان كانت هذه الامور تحدث بأمرك فمرحباً بها لأن الوالى العادل لن يتخذ اجراءات ظالمة ، ونحن فعلاً نقبل شرف الموت هكذا .

على اننا نقدم اليك هذا الرجاء الوحيد وهو ان تحقق أولاً بنفسك مع مسببى هذا النزاع ، وعندئذ تحكم بعدل ان كانوا يستحقون الموت والقصاص ، او الامان والراحة ، اما اذا كانت هذه المشورة وهذه الاوامر الجديدة التى لا يليق تنفيذها حتى على الاعداء المتوحشين ، ليست منك ، فاننا بالأولى نلتمس

منك الا تتركنا معرضين لهذا النهب الطائش من الغوغاء" .

ثم يضيف أيضاً ما يأتى "لأن فلسفتنا ازدهرت سابقاً بين البربر ، ولكنها اذ انتشرت بين الامم الخاضعة لك وقت حكم سلفك اوغسطس ، اصبحت بركة لامبراطوريتك بصفة خاصة وفألاً حسناً ، فقوة الرومانيين ازدادت قدرة وعظمة منذ ذلك الوقت ، وقد ارتقيت الى عرش هذه القوة كمشتهى من الشعب ، وهكذا ستستمر مع ابنك ان كنت ترعى الفلسفة التى نمت مع الامبراطورية والتى ظهرت الى الوجود مع اوغسطس ، تلك الفلسفة التى اكرمها اسلافك مع الديانات الاخرى .

واقوى دليل على ان تعاليمنا ازدهرت لخير امبراطورية ناشئة هو انه لم يحدث اى شر منذ حكم اوغسطس ، بل بالعكس كان كل شئ جليلاً ومجيداً بسبب صلوات الجميع .

ان نيرون ودومتيانوس وحدهما ، اذ فتحا اذانهما لبعض الوشاة ، ارادا الافتراء على تعليمنا ، وعنهما انتقلت الاكاذيب وأتهم المسيحيون اتهامات باطلة .

ولكن اباءك الصالحين صححوا جهلهم ، وذلك بتوبيخاتهم الكتابية المستمرة لمن تجاسروا على محاولة اتخاذ اجراءات جديدة ضدهم ، ومن بينهم جدك هادريان الذى كتب الى كثيرين ، وايضاً الى فوندانوس والى اسيا وحاكمها ، وكتب ابوك ـ عندما كنت تحكم معه ـ الى المدن ، مانعاً اياها من اتخاذ اية اجراءات جديدة ضدنا ، ومن بين هذه المدن كتب الى اهل لاريسا وتسالونيكى واثينا والى كل اليونانيين .

اما من جهتك فطالما كان اعتقادك من جهة المسيحيين مماثلاً لاعتقادهم ، والواقع انه اكثر رفقاً وفلسفة ، فاننا مقتنعون تمام الاقتناع بانك ستجيب كل ما طلبناه منك" .
هذه الكلمات وردت فى الكتاب السالف الذكر (أى دفاع ميليتو) » .

وهذه السطور هى كل ما وصلنا من دفاع اسقف ساردس ومنها يمكننا ان نعرف فكر ميليتو عن العلاقة بين الكنيسة والدولة ، اذ رأى ان الامبراطورية والمسيحية هما اختان فى النشئة ، كما ان الديانة المسيحية تعنى البركة والرخاء للامبراطور

ولم يكن لدينا الا عناوين اعمال ميليتو الاخرى التى حفظها يوسابيوس [٣] وچيروم [٤] حتى اكتشف كامبل بونر *Campbell Bonner* ونشر عظة شبه كاملة لميليتو «عن الالم *Homily on the Passion*» .

وكما يتضح من العنوان "عن الالم Εἰσ Τό Πάθοσ" تتحدث العظة عن آلام ربنا يسوع المسيح ، والكلمات التى يستهل بها ميليتو العظة تجعلنا نعتقد انها عظة فى ليتورچيا بعد قراءة من العهد القديم ، وموضوع العظة يناسب اسبوع الآلام حتى ان العالم بونر *Bonner* اسماها «عظة الجمعة الكبيرة» ، وتروى العظة قصة خروج بنى اسرائيل من ارض مصر ، خاصة تأسيس الفصح ، ثم يشرح ميليتو الفصح كرمز لعمل المسيح الخلاصى ، والاثنان (أى الخروج والفصح) يُسميان «سر Μυστήρια» بمعنى ان الاحداث لها اثر فائق للطبيعة ويتخطى حدود المكان التاريخية ، وصار الخروج والفصح رمزاً لموت السيد المسيح وقيامته ، ويشرح ميليتو ان آلام المسيح وموته يُؤمنان للمسيحى هروبه من الخطية والموت تماماً كما أمّن خروف الفصح

خروج وهروب العبرانيين من مصر ، والمسيحيون ـ مثل العبرانيين ـ خُتموا كعلامة على خلاصهم ، الا ان اليهود ، كما سبقت النبوات فاخبرت عنهم ، رفضوا الرب وقتلوه ، ورغم ان موته كان مرتباً من قبل ضمن تدبير الخلاص ، الا ان مسئوليتهم عنه كانت اختيارية .

ولغة العظة تكشف لنا عن ولع بالكلمات الغريبة والشعرية ، وعن استخدام جديد للادوات الاسلوبية وهذا يفسر قول ترتليان عن ميليتو «كان يعتبر كنبى من بين الكثيرين منا» (٥) .

لاهوت العظة

يسود فى العظة كلها تأكيد على الوهية المسيح ووجوده الازلى ، وميليتو يصف السيد المسيح بأنه :

الله	Θεόσ
الكلمة اللوغوس	Λόγοσ
أب	Πατήρ
ابن	Υἱόσ

بكر الله	ʿΟ Πρωτότοκοσ Τοῦ Θεοῦ
السيد	Δεδπότησ
ملكنا	ʿΥμῶν Βασιλεύσ

وهو يصف المسيح انه "أب" وذلك ضمن حديثه عن اعمال المسيح :

«ولد كابن ، سيق كشاه ، ذبح كخروف ، دفن كانسان ، وقام من الاموات كإله ، لأنه بالطبيعة اله وانسان ، هو كل الاشياء :

فانه اذ يقضى ، هو الشريعة
واذ يَعلّم ، هو الكلمة
واذ يخلص ، هو النعمة
واذ يلد ، هو الأب
واذ هو مولود ، هو الابن
واذ يتألم ، هو خروف الذبيحة
واذ دُفن ، هو انسان
واذ قام ، هو الله

هذا هو يسوع المسيح ، الذى له المجد الى دهر الدهور» (٦) .

اما ازلية ربنا يسوع المسيح فيصفها ميليتو فى شكل مدائح وتماجيد ، مثل :

«هذا هو بكر الله
الذى وُلد قبل نجم الصبح
الذى جعل النور ساطعاً
الذى جعل النهار مشرقاً» [٧] .

وعمل المسيح كان ان يخلص الانسان من الخطية [٨] والموت [٩] والشيطان [١٠] اما الكنيسة فيسميها ميليتو [١١] "خزانة الحق *The–* Αποδοοχεῖον Τῆσ Ἀληθείασ، *Resevoir of Truth* " .

وبجانب الدفاع والعظة المكتشفة حديثاً ، كتب ميليتو الكتابات التالية :

١) كتابان «عن الفصح *On the Passover*» (كتبهما نحو عام ١٦٧/١٦٦ م) .
٢) كتاب «عن الحياة المسيحية والانبياء *On Christian Life and the Prophets*» .

٣) عن الكنيسة
٤) عن يوم الرب
٥) عن ايمان الانسان
٦) عن الخلق
٧) عن طاعة الايمان
٨) عن الحواس
٩) عن النفس والجسد
١٠) عن الضيافة
١١) عن المعمودية
١٢) عن الحق
١٣) عن الايمان وميلاد المسيح
١٤) عن النبوة
١٥) المفتاح
١٦) عن الشيطان
١٧) عن رؤيا يوحنا الحبيب
١٨) عن الله المتجسد
١٩) ستة كتب «مقتطفات من الناموس والانبياء عن مخلصنا

والايمان كله» ، وقد حفظ لنا يوسابيوس [١٢] مقدمة هذا العمل ، وهو يحوى اقدم قائمة باسماء الاسفار القانونية فى العهد القديم .

٢٠) عن تجسد المسيح

من كل هذه الاعمال المفقودة يتضح لنا كم كان ميليتو كاتباً خصباً ناقش العديد من التساؤلات العملية واللاهوتية فى ايامه .

I

X

I X Θ Y Σ

Y

Σ

١١ - هرمياس

Hermias

هناك عمل دفاعى آخر لابد ان يُذكر هنا وهو «سخرية من الفلاسفة الوثنيين *Satire on the Profane Philosophers* - Διασυρμόσ Τῶν Ἔξω Φιλοσόφων كتبه شخص يدعى هرمياس ، وفى الفصول العشرة المقسم اليها الكتاب ، يحاول هرمياس ان يثبت تفاهة الفلسفة الوثنية ، موضحاً التناقضات فى عقائدها عن وجود الله والعالم والنفس

واذ لا نعرف اى شئ عن شخصية الكاتب ، لا يمكن تحديد تاريخ الكتابة ، خاصة وان محتوى العمل نفسه لا يقدم اى اشارة تساعدنا على ذلك ، وتختلف الآراء فى تحديد تاريخ العمل ما بين عام ٢٠٠ وعام ١٠٠ م ، الا انه من الادلة الداخلية فى العمل ، يكون القرن الثالث هو انسب تاريخ ، والعمل موجود فى ٦ مخطوطات ، واحدة منها فقط اقدم من القرن الخامس عشر اذ ترقى للقرن العاشر .

المصادر والمراجع

١ - القديس يوستين

السيرة

1) Dial. 2.8.   2) Dial. 8.   3) Apol. 2, 12.   4) Apol. 2, 13.

٥) يوسابيوس القيصرى : تاريخ الكنيسة (ت.ك) ـ ترجمة القمص مرقس داود ـ ٤ : ١٦ : ١ .

٦) ت.ك ٤ : ١٦ : ٣ ، ٤ .   ٧) ت.ك ٤ : ١٦ : ٧ ، ٩ .

كتاباته :

١) ت.ك ٤ : ١٨ .

2) Paris, No. 450.   3) Dial. 82.

٤) ت.ك ٤ : ١٨ .

5) Apol. 1, 46.

٦) ت.ك ٤ : ١٨ : ٧ .   ٧) ت.ك ٤ : ٩ : ١ ، ٢ ، ٣ .

8) Apol. 2, 4.

٩) ت.ك ٤ : ١٨ : ٦ .   ١٠) ت.ك ٤ : ١١ : ٨ وما بعدها

١١) ت.ك ٤ : ١٨ : ٣ .   ١٢) ت.ك ٤ : ١٨ : ٤ .

١٣) ت.ك ٤ : ١٨ : ٤ .   ١٤) ت.ك ٤ : ١٨ : ٥ .

لاهوته :

١ - الله

1) Dial. 127.

٢ - مريم وحواء

1) Dial. 100.

٣ - المعمودية والافخارستيا

1) Apol. 1, 61.

2) Dial. LXXXVI, 6.   3) Dial. CXI, 4.

4) Dial. 117.   5) Apol. 1, 11, 13.

٤ - القيامة

1) Apol. 1, 19.   2) Dial. XXXVI, 4-6.   3) Co. Jo. VI, 56.

4) On The Resurrection, fragment 9.

5) Apol. 1, 11, 13.   6) Dial. 108.   7) Apol. 1, 45.

٥ - الفكر الاخلاقى المسيحى

1) Apol. 1, 14-17- Florilegium Patristicum, 2. 28-38, ed. Rauschen.   2) Dial. XIV, 3.

٦ - سر السبت

1) Dial. XIX, 6. see also XXVII, 2; LIV, 3; XLIV, 5; CXII, 4

2) Dial. XXVII, 5.   3) Dial. XXXIX, 3.   4) Dial. XXIII, 3.

5) Dial. XXVII, 5; see also XLVI, 2-3.

٧ - اليوم الثامن

1) Dial. XXXVIII, 2-3.   2) Dial. XLI, 4.

٢ - كوادراتوس

١) ت.ك ٤ : ٣ : ١ - ٢ .

2) See : Quasten, Patrology, Vol. I, p. 191.

3) Ibid.   4) Jerome, De Vir. ill. 19, Ep. 70, 4.

٣ - اريستيدس

١) ت.ك ٤ : ٣ : ٣ .

2) De Vir. ill. 20. 3) Apol. 15. 4) Ibid. 5) Ibid. 16.

٤ - ارسطو

1) Contra Cels. 4, 52.

٥ - تاتيان

1) Orat. 29. 2) Chapter 42 ANF 2, 81/2.

3) Stromat. 4, 81, 1 f.

٤) ت.ك ٤ : ٢٩ : ٦ .

٦ - ميلتيادس

1) Adv. Valent. 5.

٢) ت.ك ٥ : ٢٨ : ٤ . ٣) ت.ك ٥ : ١٧ : ٥ .

٧ - ابوليناريس

١) ت.ك ٤ : ٢٧ .

٨ - اثيناغوراس

1) Methodius, De resurrection, 1, 36, 6-37, 1.

2) Bibl. Cod. 154 f. 3) Chapter 1-3. 4) Ch. 4-36.

5) Apol. 11 6) Ch. 37. 7) Apol. 8, ANF 2, 132.

8) Apol. 10, ANF 2, 133. 9) Apol. 10, ibidem.

10) Ibid. 11) Apol. 10, 12. 12) Apol. 10.

13) Apol. 7, ANF 2, 132. 14) Apol. 9.

15) Ad. Autolycum 8 : 4. 16) Stromat. 6 : 18 : 168.

17) Apol. 33. 18) Apol. 33, ANF 2, 146 f

٩ - ثيؤفيلس

١) ت.ك ٤ : ٢٠ .

2) 1, 14. 3) 1, 2.

4) 1, 11. 5) 1, 14.

٦) ت.ك ٤ : ٢٤ .

7) De Vir. ill 25. 8) Epistula 121, 6, 15.

9) 2, 30. 10) 2, 1.

11) 3, 12. 12) 3, 14. 13) 2, 15.

١٠ - ميليتو

١) ت.ك ٥ : ٢٤ : ٥ .

٢) ت.ك ٤ : ٢٦ : ١ - ١١ .

٣) ت.ك ٤ : ٢٦ : ٢

4) De Vir. ill. 24. 5) Ibid. 6) 8 - 10 Bonner. 7) 82.

8) 54 - 103. 9) 102 - 103.

10) 67 - 68 - 102. 11) 40

١٢) ت.ك ٤ : ٢٦ : ١٣ : ١٤ .

الفهرس

سلسلة آباء الكنيسة

ΙΧΘΥΣ

١) القديس ايريناؤس اسقف ليون .
٢) العلامة بنتينوس السكندرى .
٣) العلامة يوسابيوس القيصرى .
٤) القديس ديديموس الضرير .
٥) العلامة لاكتانتيوس .
٦) القديس ميثوديوس الاوليمبى .
٧) القديس يوستين الشهيد (الآباء المدافعون) .
٨) القديس ايڤاجريوس البنطى .
٩) القديس هيلارى اسقف بواتييه .
١٠) الرسالة الى ديوجنيتس .
١١) القديس ابيفانيوس .
١٢) القديس ديونيسيوس الكبير .
١٣) القديس اغريغوريوس النزينزى .
١٤) القديس باسيليوس الكبير .